
المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي



مجلة المجمع العلمي



محتويـــات

الجزء الأول / المجلد الثامن والخمسون

التقاليد والأعراف الجامعية

الدكتور احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي

الملخص :

هذا عرض للتقاليد والأعراف الجامعية التي كانت سائدة في (جامعة بغداد) عند تأسيسها ، وقد تعرض للجوانب الادارية والعلمية مثل تعيين المسؤولين والتدريسيين ، والدراسات العليا والاشراف على الرسائل الجامعية ومناقشتها ، وطرائق التعليم والمناهج ، وانتهى الى مقترحات ليست ببعيدة عن المهتمين بالدراسات الجامعية .

المقدمة :

(١)

التقليد ــ لغة ــ وضع القلادة في العنق ، وتفويض الأمر الى الآخرين ، ونقل الحكم أو السلطة من واحد الى آخر ــ واصطلاحا ــ الأخذ بقول الغير وفعله ، أو هو ما انتقل الى الانسان من آبائه ومعلميه ومجتمعه من العقائد ، والعادات ، والعلوم ، والأعمال ، وهذا الانتقال قد يكون بلا حجة ولا دليل ، وإنما هو السير على خطى الماضين .

والعُرْف ــ لغة ــ المعروف خلاف النكر ، والمكان المرتفع ، واصطلاحا ــ ما استقر في النفوس بشهادة العقول ، وتلقته الطباع السليمة بالقبول . وكان المصدر الأول للقوانين في المجتمعات القديمة ، والمصدر

الثاني لها في المجتمعات الحديثة . والعرف بهذا المعنى " هو اعتياد الناس واطرادهم على اتباع سلوك معين لدرجة الاعتقاد بأن هذا السلوك واجب الاتباع " .

والعادة ـ لغة ـ الرجوع ، والارتداد ، والتكرار ، ـ واصطلاحا ـ "ما استمر الناس على حكم العقول ، وعادوا اليه مرة بعد مرة " ، أي ما اعتيد حتى صار يُفعل من غير جهد ، ويتكرر على منهج واحد . والعادات في علم الاجتماع " أشكال التفكير والسلوك المستقر الذي يقوم به الفرد في المجتمع " ، وقد تصبح العادات عُرفا تصدر عنه القوانين في بعض المجتمعات .

فماذا يعني إحياء التقاليد والأَعراف الجامعية ؟ أكانت في القديم وأُريد إِحياؤها اليوم ؟ الواقع يؤكد أَن في الجامعة اليومَ تقاليدَ وأَعرافا صيغت موادُّ قانونية تنظم سيرها ، وهذا شأن الجامعات القديمة ؛ إذ لم تكن المدارس النظامية والمدرسة المستنصرية قائمة بغير أُسس تعارف عليها شيوخها وطلابها ، وكان الشيخ يقوم بالتدريس على وفق معايير معروفة ، ويرقى الى مرتبة أَعلى ، وكان قبول الطلبة يتم بشروط وينظر الى ميولهم العلمية ، وكانت المناهج توضع على وفق المرحلة الدراسية ، ومثلها الكتب حيث لكل مرحلة كتاب في علم من العلوم التي يتلقاها الطلبة ، وكان للزي رسوم ، وللتعامل بين منتسبي المدرسة أُصول . ولم تكن مُؤسسات التعليم القديم في الوطن العربي والعالم الاسلامي ببعيدة عن تقاليد هذه المدارس وأَعرافها التي انبثقت من المجتمع ، ثم أَصبحت تشريعات في العصر الحديث .

فالجامعات العراقية اليوم تسير على هدى سياسة التعليم العالي ، وإن كانت الظروف لا تيسر لها تحقيق جميع أهدافها المرسومة ، شأنها في ذلك شأن كثير من جامعات العالم التي لم تتوفر لها الظروف المناسبة ، على الرغم من أن بعضها قطع شوطا كبيرا في التقدم العلمي ، والازدهار الحضاري .

لقد صاغ قانون وزارة التعليم العالي والبحث العلمي أهداف الوزارة منذ تأسيسها عام ١٩٧٠م ، وهي أهداف التعليم الجامعي ، وأول تلك الأهداف إحداث تغيير نوعي في الحركة العلمية والتعليم العالي ، وإعداد جيل متسلح بالعلم والمعرفة ، وتأمين احتياجات خطط التنمية من المتخصصين في جميع فروع المعرفة ، وتطوير العلاقات العلمية والثقافية والفنية والتقنية مع الجامعات العربية والأجنبية ، وتوثيق الصلة بالمؤسسات العلمية المختلفة .

والوزارة تقوم بتنفيذ سياسة الدولة التربوية والعلمية والتقنية والفنية ، وهي مسؤولة عن التخطيط العلمي ، والعناية بالبحث العلمي ، وتطوير الدراسات العليا ، وإرسال البعوث الى الخارج ، وتنظيم التعاون مع الدول العربية والأجنبية .

هذه أهم أهداف الوزارة ، فضلا عما يستجد من أهداف ووسائل في أثناء المسيرة العلمية ، وما تفرضه الظروف القادمة ، ولذلك كان النظر يُعاد في قانونها حتى بلغت تعديلاته سبعةً عام ٢٠٠٧ للميلاد .

والجامعة – وهي إحدى مؤسسات التعليم العالي – لا تخرج في أهدافها ووسائل تنفيذها عما رسمه قانون الوزارة ، وإن قُيدت – أحيانا – بتوجيهات تفرضها الظروف.

عرف العراق الحديث التعليم العالي بمعناه الجديد منذ مطلع القرن العشرين ، وأسست كليات مختلفة ، وكانت (جامعة آل البيت) أول جامعة انشئت في العراق سنة ١٩٢٤م ، وكانت لها تقاليد وأعراف في تعيين المسؤول الأعلى ، ومن يقوم بالتدريس فيها ، وقبول الطلبة ، ووضع المناهج والكتب . وكان من شروط تعيين أمين الجامعة :

١- أن يكون مزودا بالعلوم الدينية والعصرية معا .
٢- أن يكون عالما بتشكيل الجامعات ، مجربا تطورها .
٣- أن يكون عارفا بحالة البلاد العلمية والاجتماعية ليعرف كيفية السلوك المؤدي الى التقدم .
٤- أن يكون ذا شخصية ممتازة ، وأخلاق شريفة تؤهلانه لنيل الثقة والاعتماد من العموم.
٥- أن يكون واقفا على لغة أجنبية يستعين بها على تعقيب سير العلوم في العالم المتمدن .
٦- أن يكون من الاساتذة الذين سبق لهم التدريس في إحدى الجامعات مدة طويلة" . تنظر هذه الشروط في (تأريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني لعبد الرزاق الهلالي ص٢٨٨ – بغداد ٢٠٠٠م) .

وهذه الشروط تدل على وعي متقدم في اختيار من يتولى المسؤولية ، وتوجهٍ الى الانفتاح على المعاصرة ، وما تعارفت عليه الطبقات المثقفة ، وانطبقت هذه الشروط على فهمي المدرس (١٨٧٣-١٤٤٤) واختير أميناً للجامعة ، وقرر مجلس الوزراء تعيينه بهذا المنصب الى أن أُغلقت الجامعة في الرابع والعشرين من نيسان سنة ١٩٣٠م لأسباب غير علمية .

وفي عام (١٣٧٨هـ - ١٩٥٧م) أنشئت (جامعة بغداد) لتضم الكليات التي كانت قائمة وتابعة لوزارات مختلفة وهي : الحقوق (القانون) ودار المعلمين العالية (التربية) والهندسة ، والتجارة والاقتصاد ، والآداب والعلوم ، والطب ، وطب الأسنان ، والصيدلة ، والبيطرة ، والزراعة ، والشريعة ، وأُنيطت بوزارة المعارف إدارتها ، بعد أن كان (مجلس التعليم العالي) يشرف على الكليات ، وينسق بينها ، ويقدم المقترحات العملية . وفي خلال مسيرة (جامعة بغداد) أُضيفت اليها كليات ومؤسسات ومراكز علمية ، ووقفت معها في العاصمة : الجامعة المستنصرية ، والجامعة التكنولوجية ، والجامعة الاسلامية ، وجامعة النهرين.

وأخذ التعليم العالي يتوسع ، فأُسست جامعة في الموصل ، وجامعة في البصرة ارتبطتا في أول الأمر بجامعة بغداد ، ثم فُكَّ ارتباطهما قبل عام ١٩٦٨م وعُين لهما رئيسان أَصيلان . وأَخذت جامعات جديدة تظهر في أنحاء العراق لتسد حاجته من ملاكات علمية وتربوية وتقنية .

وتضم كل جامعة كليات إنسانية وعلمية وفنية ، وتتبع بعضها مراكز البحوث والتراث ، وقد انطلقت قبل سنوات دعوة الى إنشاء

جامعات وكليات متخصصة على غرار ما ظهر في الخارج رأيا أو مشروعا ، ولعل الظروف تتهيأ في المستقبل ليخطط لمثل هذه الجامعات .

وفي مطلع الستينيات من القرن العشرين شكلت (الدوائر العلمية) التي جمعت الأَقسام المتناظرة في كليات (جامعة بغداد) وهدفها التنسيق بين هذه الأَقسام ، وتقويم المناهج ، ومتابعة شؤون التدريسيين كاقتراح ترقيتهم أو تعيين الذين تحتاج اليهم الأَقسام ، والإشراف على الدراسات العليا والبحث العلمي ، ولكنَّ عقدها انفرط بعد عام ١٩٦٨م ، لما لها من سلطة وتوجيه وتأثير وقرار لم تتفق وأهداف التخطيط الجديد ، كما أُلغيت عام ١٩٦٩م للسبب نفسه كليات : الآداب ، والتربية ، والبنات ، والشريعة ، واللغات لتكون كلية واحدة باسم (كلية الآداب) التي انفرط عقدها ، وعادت الكليات الى عهدها القديم .

والحاجة الآن كبيرة لاستيعاب الراغبين في إكمال تحصيلهم العلمي ، ولعل إنشاء (جامعات مفتوحة) على غرار (الكليات المفتوحة) توفر الفرص لمن لم يلتحقوا بالجامعات الأخرى ، فضلا عن أَنها تحمل العبء عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وكلياتها ، وإن كان لابدَّ من أن تشرف عليها وتتابع أَعمالها وتحقيق أهدافها .

إِن أَهداف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التي تنعكس على الجامعات، هي التي تخلق تقاليد وأَعرافا ، فضلا عن واقع العراق وقيمه السامية ، ولعل أَول ما ينبغي أَن يأخذ جانبا كبيرا من الاهتمام هو (هيكل الجامعة) ، ولا تختلف الجامعات فيه ، فهناك رئيس الجامعة ، وعميد الكلية أَو المعهد ، ورئيس القسم أَو الفرع ، وقد درج التعليم العالي

في العراق على أَن يُعين رئيس الجامعة تعيينا ، وهـو مـا حـصل فـي (جامعة آل البيت) مع أَن أمينها انتخب من اللجنة التي كلفت باختيار أمين للجامعة ، وما حصل في (جامعة بغداد) عند تأسيسها إذ عُين لهـا رئيـسا الدكتور متي عقراوي (١٩٠١-١٩٨٢م) خلال سنتي ١٩٥٧ و ١٩٥٨م ، وأثار هذا التعيين جدلا لأَنه جاء بغير رغبة منتسبي الجامعة ورضـاهم ، على الرغم من كفاءة عقراوي العلمية والتربويـة والإداريـة ، إذ تـولى التدريس في (دار المعلمين العالية) وأصبح عميدها ، ثم مسؤولا كبيرا في وزارة المعارف ، قبل أَن يتولى رئاسة (جامعة بغداد) .

وجُرب انتخاب رئيس الجامعة بعد ذلك ، وحصّل أَحـد الأسـاتذة الذين تولوا العمادة من قبل ، أَعلى الأصوات ، ولكن القيادة تجاوزت ذلك وعينت غيره ، وظل التعيين ساريا وإِن مرت فترة أُريد للانتخاب أن يكون تقليدا وعرفا، وهو ما ينبغي أَن يكون حيث يُنتخب رئيس الجامعة من بين عمداء الكليات من ذوي السمعة العلمية والإدارية والخبرة الجامعية لينـال ثقة الذين انتخبوه ، ولتدير الجامعة إِدارة بعيدة عن التيارات المتـصارعة والتوجهات التي تعوق تحقيق أهداف الجامعة وإِنجازها كاحسن ما يكون ، على أَن لا تزيد ولاية الرئيس عن خمس سنوات يعود بعدها الى التدريس ومواصلة مسيرته العلمية لئلا ينقطع عن تخصصه الـذي يحتـاج الـى متابعة واطلاع .

وشأن العميد كشأن رئيس الجامعة يُنتخب من مجلس الكلية لمـدة خمس سنين ، ويكون هذا أول انتخاب ، فاذا انقضت مدته جاء بعده مـن يليه في المرتبة العلمية وسنوات الخدمـة. ومزيـة هـذا الإجـراء هـي

مشاركة أعضاء الهيئة التدريسية في إدارة الكلية ، وعدم الاقتصار على عميد يستمر طويلا ، وقد لا يترك العمادة إلا بعد إحالته على التقاعد ، أو مفارقة الحياة .

ويشمل هذا الإجراء عمداء المعاهد ورؤساء المراكز العلمية والتربوية والفنية والتقنية والتراثية ، كما يشمل رئيس القسم ، ويأتي بعد خمس سنوات من يليه في المرتبة العلمية وسنوات الخدمة الجامعية ، وبذلك يكون الرئيس القادم معروفا ، وفي تلك المدة يتهيأ لإدارة القسم ، ويرسم الخطط لتطوير المناهج وطرائق التدريس . ويكون هذا عرفا في الجامعات والكليات الأهلية لتقترب في قوانينها وأنظمتها من المؤسسات الرسمية ، وتعترف بها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ويضمن خريجوها حقوقهم المشروعة .

وقد يصبح هذا تقليدا أو عرفا في جميع المؤسسات العلمية العالية ، ويتصل بذلك التخطيط عند إنشاء جامعات وكليات جديدة على هذا الوفق من العرف المتمثل بالقوانين بعد رسوخه ، فضلا عن أن يُراعى الهدف من إنشائها ، والبيئة التي ستقام فيها ، فلا تُنشأ جامعة تُعنى بالدراسات البحرية في بيئة صحراوية أو جبلية ، ولا تُنشأ جامعة تُعنى بالزراعة والغابات في بيئة سبخة لا تصلح للزراعة ، وأن تتميز جامعة عن أُخرى في كلياتها ومعاهدها واختصاصاتها لتعطي أحسن الثمار .

إن الأخذ بما ذكر آنفا يحقق هدفا ساميا في إعطاء كل ذي حق حقه ، بعيدا عما يحمل المسؤول من فكر أو اتجاه ، لأن الجامعة مركز علمي وهو ملك جميع المواطنين على اختلاف آرائهم وانتماءاتهم ، وبذلك

تبقى الجامعة مصدر إشعاع علمي ينير طريق العاملين في سبيل وطنهم ، والسائرين نحو بناء وطن حر شريف .

هذه ثلاثة مناصب علمية وإدارية ، فكيف تكون العلاقة بينها ؟ قد تحدد القوانين والأنظمة تلك العلاقة ، ولكن ما أقره العرف قد يكون أقدر على ذلك بما رسخ من مفاهيم القيم الاجتماعية ، وما ساد من ألفة جمعت الناس على الهدى ، وجعلهم الله (سبحانه وتعالى) إخوانا ، وهذا ما يُؤدي الى الاحترام والحرص على العمل بإخلاص وتجرد ، فلا خلل في الجامعة ، ولا صراع بين المسؤولين ، لأن الخدمة العامة ليست نزعات وتسلطا ، وإنما هي فرض على كل من آمن بوطنه وأخلص له قبل أن يخلص لنفسه ، وبذلك يتم الاتساق ، وتسير الجامعة في طريقها المرسوم .

وعلاقة التدريسيين والموظفين مثل ذلك ، فهم ركنها الركين ، وعليهم يقوم كيان الكلية ، وهم في ذلك سواء ، وإن كان الكبار أَحق بالرعاية والاهتمام والتقدير ليكونوا أسوة حسنة لمن يأتي بعدهم يوم يودعون الجامعة والحياة .

إن احترام الأساتذة أول ما يجب أن يجعله العميد عرفا ، فلا يفرط بأحد منهم بعد إحالته على التقاعد. وانه ليحمد للمسؤولين استحداث درجة (أستاذ متمرس) للاستفادة من الأستاذ المتقاعد في إلقاء المحاضرات والإشراف على الرسائل الجامعية ومناقشتها، وإنه لأمل عظيم أن تُطبق التعليمات الخاصة بواجبات الاستاذ المتمرس ، فلا يحرم الطلبة من عطائه ، وتخسر المؤسسة خبراته .

وليس في تعيين التدريسيين عرف خاص ؛ لأَن قانون الوزارة أو قانون الجامعة هو الذي يضع الشروط ، ويحدد الرتب العلمية ، وعلى هذا الأَساس يكون التعيين بحسب الملاك المصدق .

والعرف السائد في الترقيات العلمية أَن تُرسل البحوث ورسالتا الماجستير والدكتوراه والكتب المنشورة لمن يريد الترقية الى استاذ مختص تأكيدا لجدة البحوث وأنها غير مستلة من الأعمال السابقة ، ثم تُشكل لجنة للنظر في الترقية من أَعضاء مرتبتهم العلمية أعلى من مرتبة المتقدم للترقية ، فاذا ما انطبقت شروط الترقية أُحيلت على لجنة الترقيات في الجامعة لتنظر في تقرير اللجنة الأُولى ، فاذا ما اقتنعت أَوصت بالترقية الى مدرس أَو أُستاذ مساعد ، أَما الترقية الى الاستاذية فترسل البحوث الى ثلاث جامعات في خارج العراق ، فإنْ أَقر خبراؤها أَصالة البحوث اتخذت الاجراءات لاقرار الترقية العلمية وإصدار أَمر وزاري .

وقد تطول مدة إِعادة البحوث ، ولذلك كان هناك لقب (استاذ مشارك) يُمنح للتدريسي عند إرسال بحوثه الى الخارج لينتفع من مزايا الاستاذية التي لا تتجاوز تخفيض الساعات التدريسية ، وأُلغيت هذه المرتبة إذ ربما وجدها المسؤولون إِطالة في الرتب العلمية على الرغم من أنها نافعة عند تأخر إعادة التقارير من الخارج ، وقد يكون الغاؤها بسبب أَن لقب (الاستاذ المشارك) في كثير من الجامعات العربية يعادل (الاستاذ المساعد) في الجامعات العراقية ، وقد يكون في ذلك غبن لمن يعمل في تلك الجامعات من العراقيين .

وخُفف هذا الاجراء ، واكتُفِيَ بثلاثة بحوث يكـون واحـد منهـا منشورا ، والآخران مقبولان للنشر ، وشرط نشر البحوث كلها وتقـديمها مهم ، لأَن البحوث لا تنشر للترقية فحسب ، وإِنما لتقديم الجديـد النـافع للآخرين ، وقد لا تنشر البحوث على الرغم من تقديم إقرار بنشره .

ويكتفى الآن بإرسال البحوث الى جامعة خارجية واحدة ، وفي هذا تسهيل للترقية الى الاستاذية ، ولكن قد لا يوفق الخبير في إِعطـاء حكـم فاصل ، وتعدد الجهات يُعطي حكما أَقرب الى الدقة والصواب ، والعـودة الى العرف السابق أجدى لأنه ينصف الباحثيـن ، ويمنحهم الاعتـراف بأَصالة بحوثهم ، وتقدير مكانتهم العلمية .

وليس للتقاليد والعرف صلة بقبول الطلبة في الجامعة ، لأَن قبولهم يعتمد على معدلاتهم التي تخطط لها وزارة التعليم العالي والبحث العلمـي في ضوء حاجتها ، وتضع سلم القبول وتوزيع الطلبـة علـى الجامعـات والكليات والأَقسام العلمية. وهذا مقياس مأخوذ به في معظـم الجامعـات العالمية ، وإن أَضاف بعضها مقابلة الطلبة لمعرفة ميولهم ، والعلم الـذي يرغبون في دراسته ، وكان هذا معمولا به في الجامعات العراقية ،وقـل الاهتمام بالمقابلة لكثرة المتقدمين ، واكتفيَ في الغالـب بالـدرجات التـي تتحكم بالتوزيع ، وفي ذلك إنصاف كبير.

ويتصل بالطلبة ما يقال عن هبوط المستوى العلمي في الجامعات ، وهذا حق ، ويرجع الى الظروف التي مر بها العراق ، ولكن أهم سـبب كثرة الطلبة ، في قاعات الدرس بسبب الإقبال على الدراسـة الجامعيـة ، وهذا جعل الاستاذ يلقي محاضرته من غير أن يتوقف ليـسأل ويناقش .

وعلى الرغم من هذا الواقع فقد يتفوق بعض الطلبة وبنسبة قليلـــة ، وهـــو مألوف في الجامعات الأجنبية بحسب المقاييس المعهودة فـــي مثـــل هـــذه الأحوال . ولا يعني هذا الوقوف عند الواقع وعـــدم بـــذل الجهـــد لتقـــديم العطاء الوافر ، والعمل الجاد لتشجيع الطلبة على الدراســـة وتوجيههـــم الى المصـــادر التي تنمي علميتهم ، وتفتـــح لهـــم آفاقـــا رحبـــة فـــي مداها يتفوقون .

وكان مما يدخل في العرف ــ وإن كان نظاما ــ درجة (الامتيـــاز الخاصة) حيث يبدأ بها الطلبة الحائزون على (جيد جدا) أو (امتياز) فـــي السنتين الأولى والثانية من دراستهم الجامعية ، ويتلقون مواد دراسية أكثر مما يتلقى أَقرانهم . وكان لدرجة الامتياز الخاصة نفع كبير ؛ إذ يُنظر اليها بعين الاعتبار عند الالتحاق بالجامعات الخارجية ، ويُعفى حاملها من بعض الشروط الدراسية . وأُلغي هـــذا النظام ، والعـــودة اليـــه يعـــزز أصـــالة المرحلة الجامعية الأُولى، ويهيىء للدراسات العليا .

وللدراسات العليا شروط ، وقد استقرت منذ ســـنوات مـــن حيـــث القبول ، ونظام الفصول والامتحانات ، وأُضيف خارج الشروط العامة ما يتميز به بعضهم من علمية فيقبل ، وهذا سياق مقبول إن أَخـــذ طريقـــه ، ولكن ينبغي أَن لا يكون وسيلة من لا وسيلة له غيره. وإنه لأمل عظيم أن يتلقى الطلبة في مرحلتي الماجستير والدكتوراه مواد جديدة ، وأن تكـــون رسائلهم نافعة في خدمة الوطن ، والتخطيط والتنمية ، وفي تطوير العلـــم ونشره لينتفع به من يعيش في عصره ، ويلحق بركب العالم المتحضر.

وظل العرف القديم سائدا في الاشراف على الرسائل ومناقشتها الى حد كبير، وقد تولى الاشراف في بداية نشأة الدراسات العليا الاساتذة ، وولّد ذلك إحساسا بالغبن لدى الأساتذة المساعدين ، إذ أشرف من لا يحمل شهادة الدكتوراه ، ثم أُوكل الاشراف بعد ذلك بسنوات الى الاساتذة المشاركين الذين لم تنجز معاملات ترقيتهم الى الاستاذية ، ثم أوكل الى الاساتذة المساعدين حين توسعت الدراسات وتنوعت ، وازداد الاقبال على الدراسات العليا ، ولم يوكل الى المدرسين ، ولكنْ أَجاز قانون الخدمة الجامعية (٢٣) لسنة ٢٠٠٨م ذلك ، وجاء في المادة الرابعة (ثانيا) : "يجوز بقرار من مجلس الكلية عند الضرورة تكليف (المدرس) بالتدريس ، والإشراف على طلبة الماجستير فقط" ، وأَصبح هذا الجواز عرفا ، إذ أُنيط الاشراف بالمدرسين وهم أحوج ما يكون الى أَن يتابعوا بحوثهم ، ويتزودوا بالخبرة ، لئلا يصرفهم الاشراف عن التحصيل .

ومن طريف ما كان أن بعض الاساتذة المساعدين ممن يحمل الدكتوراه كان يردد بيت أوس بن حجر حين لم يوكل اليه الاشراف على الماجستير:

أَيتها النفسُ أَجملي جَزَعا　　　　إنَّ الذي تحذرينَ قد وقعا

وأُوكل الاشراف على الدكتوراه في الثمانينيات الى مشرف أول ومشرف استشاري ، ثم الغي لما كان يحدث ــ أَحيانا ــ من خلاف بين المشرفين يعيق انجاز الرسالة فيتضرر الطالب ، وإِنْ كانت مدة الانجاز طويلة ، ولم تحدد إلا لأسباب فرضتها الظروف التي كان العراق يمر بها في تلك الحقبة من الزمان .

وكانت الرسائل تبعث الى خبير من خارج العراق ، وقد بدأ هذا منذ العام الجامعي ١٩٦٠-١٩٦١م حين استحدثت في (جامعة بغداد) الدراسات العليا في أقسام : الهندسة المدنية ، والتأريخ ، والزراعة ، وفي قسم اللغة العربية في العام الجامعي ١٩٦٢-١٩٦٣م، وكانت الدوائر العلمية تشرف على الدراسات العليا ، وتحدد موادها الدراسية وتخصص الاساتذة ، وتنظر في قبول الطلبة ، وتسند الإشراف الى المختصين ، وحين أُلغيت قبل عام ١٩٦٨م أصبحت الأَقسام العلمية مسؤولة عن الدراسات العليا .

أَما مناقشة الرسائل فقد بقيت كالسابق ، حيث يستعرض المناقش علمه كأنه يلقي محاضرة على جمع غفير ، ولا يُفسح المجال ـ غالبا ـ للباحث ليعرض رأيه وما توصل اليه ، ومن الجلي الواضح أَن إِعطاء الطالب فرصة ووقتا ليقدم عمله بالتفصيل أجدى من إِطالة النقاش الذي لا يخرج في المحصلة الأَخيرة عما قاله الخبير العلمي في تقييم الرسالة أو الاطروحة . ولعل أحسن من هذا ما تفعله بعض الأقسام العلمية ، إِذ يُعطي رئيس لجنة المناقشة الطالبَ وقتا لعرض بحثه صوتا وصورة ، ويكتفى بالمناقشة في أُمور مهمة تقوّم الرسالة أو تلقي ضوءً عليها من حيث الأَصالة أو غيرها مما ينتهي اليه الحكم والتقدير .

وليس هناك من حاجة الى خمسة مناقشين في الدكتوراه ، ويكتفى بثلاثة ليفسح لهم وللطالب المجال للمناقشة والوقوف على مفاصل البحث ، وإِبداء الرأي فيه تقويما وتقييما. ولعل هذا يكون عرفا في قابل

الأعوام ؛ لأَنه أَجدى ، وهو ما كان معمولا به قبل عقدين ، ولعل الأَسباب التي دفعت الى خماسية اللجنة ، قد ذهبت مع ذهاب الأَحداث ، وليس في العودة الى النافع ما يعيب .

ولم تكن في السابق كتب منهجية مقررة ، وإِنما كان الاستاذ يُلقي محاضرته ، ويُرشد الطلبة الى المصدر الذي يكمل المحاضرة ، كان هذا حين كان عدد الطلبة قليلا ، وكانت مكتبة القسم أَو مكتبة الكلية تسد الحاجة ، ولما أَخذ عددهم يزداد صار من الصعوبة بمكان الحصول على المصادر ، وحدث في عام ١٩٧٦م أَن أَقر مجلس التعليم العالي والبحث العلمي إِلزام الجامعات ومؤسسات التعليم العالي تعريب التعليم العالي ، وفي عام ١٩٧٧م صدر (قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية) الذي ألزمت مادته الثانية اعتماد اللغة العربية لغة للتعليم في مراحل الدراسة كافة ، وكان هذا دافعا الى تأليف الكتب المنهجية باللغة العربية ، وصدرت مئات الكتب المنهجية في الدراسات الانسانية المختلفة ، والدراسات العلمية ولاسيما في الزراعة ، والكيمياء ، والفيزياء ، والأحياء ، والهندسة ، والعلوم الأخرى ، ولم تصدر كتب كثيرة في الطب لأَن تعريبه تأخر عن تعريب العلوم الأُخرى ، ومن الكتب التي صدرت : علم الأنسجة ، وأُسس علم الطفيليات السريري ، والفسلجة ، وعلم الأمراض العام ، وعلم الأَحياء الطبي .

لقد حلَّت قضية التعريب مشكلة شحة الكتب حين أُلفت كتب منهجية لمعظم العلوم ، ولم يكن هذا الاجراء إِلا علاجا مؤقتا ؛ لأَن الدراسة الجامعية لا تنحصر في كتب مقررة فحسب ، وإِنما يرفدها الرجوع الى

المصادر المختلفة ولاسيما ما يصدر من جديد ، وهذا ما كان عليه الأمـــر منذ أن بدأت الدراسات الجامعية تأخذ طريقها في الظهور منذ بداية القرن العشرين. وحدث في عام ١٩٩٢م أن الغيـــث (الهيئـــة العليـــا للعنايـــة باللغة العربية) ، فحصلت ردة في التعريب ، وأُهملت الكتـــب المنهجيـــة المقررة ، واتخذ الطلبة الملازم المختصرة سبيلا لتحصيل العلـــم ، علـــى الرغم من أنها لا تقدم إلا اليسير منه ، وكان هـــذا مـــن أســـباب هبـــوط المستوى العلمي الى جانب ازدياد عدد الطلبة وكثرتهم في قاعـــة الـــدرس بحيث لا يستطيع الاستاذ أن يتوقف ليناقش الطلبة ويعرف ما حصلوا عليه من محاضرته . وقد يكون صعبا الرجوع الى ما كان الأَمر عليه قبل عقود من الزمان ، وأيسر ما يمكن تحقيقه تأليف الكتب المنهجية وترجمة الكتب العلمية الحديثة لتكون بين أيدي الطلبة بدلا من الملازم التي أَصبح التمسك بها عرفا وتقليدا . وقد تتيسر الظروف للتعليم العالي ليؤصِّل عرفـــا كـــان سائدا في الخمسينيات ، وهو الاعتماد على المصادر لا على كتاب واحد .

وتظل اللغة العربية أساسا في مراحل التعليم كافة ؛ لأَنهـــا هويـــة العراق وأُمة العرب ، وقد أَثبتت البحوث التربوية ، والتجارب العمليـــة أَن التعليم باللغة الأم أَسرع من التعليم بلغة أجنبية ، واكثر يسرا في تلقيـــه ، وقد بدأ تدريس الطب باللغة العربية منذ أَواخر القرن التاسع عشر ــ فضلا عما كان عليه في عصور ازدهار الحضارة العربية الاسلامية ــ وكانـــت (مدرسة القصر العيني) في القاهرة تدرس الطب باللغة العربية ، ويـــضع أَساتذتها الكتب بها ، وكانت (الجامعة الامَريكية) في بيروت تدرس الطب باللغة العربية ، ويضع أساتذتها الكتب بالعربية ، ولكن هاتين المؤســـستين

تنكرتا للغة العربية ، وأخذتا تدرسان بلغة المستعمر. وسارت على هذا النهج كلية الطب في العراق ، وعلى الرغم من أن مستواها العلمي لا يزال رفيعا إلا أن الدكتور محمد فاضل الجمالي (١٩٠٣م - ؟) ـــ مدير التدريس والتربية العام ـــ قدم في الرابع عشر من شهر آذار سنة ١٩٣٨م تقريرا الى الشيخ محمد رضا الشبيبي (١٨٨٩-١٩٦٥م) ـــ وزير المعارف (التربية) في العراق جاء فيه: "عدم إتقان الطلاب اللغة الانكليزية يجعل دراستهم عقيمة ، ولاسيما الكتب كلها انكليزية ، والمحاضرون معظمهم انكليز ، وقد حدث أن رأيت أحد الطلاب المتخرجين لم يستطع قراءة وفهم الكتاب الذي درسه في كلية الطب ، وفي هذا خطر على الأرواح لا يمكن أن يقدر" ، كان هذا وأول عميد لكلية الطب هو الدكتور (سندرسن) ، وكانت الكتب باللغة الانكليزية ، ومعظم الاساتذة من الانكليز ، فكيف سيكون الأمر بعد هذا ؟ والدكتور الجمالي يقصد ـــ كما هو واضح ـــ إتقان اللغة الانكليزية قبل تلقي العلم بها ، ولكن ـــ مهما كان الأمر ـــ فان تلقي العلم باللغة الأم أنفع وأجدى ، وهو ما أثبتته الدراسات التربوية وواقع التعليم باللغة العربية في بعض الجامعات.

إن التدريس باللغة العربية تحتمه هُوية الأمة ، وتحصيله تحصيلا مثمرا لئلا يتخرج الطلبة وهم لا يدركون مما درسوه إلا القليل الذي لا يُغني ، واليسير الذي لا يُجدي . وكادت حركة التعريب تثمر أَطيب الثمر لولا الردة التي حصلت في التسعينيات ، والتعريب وإِنْ كان مَعلَماً من معالم هوية الأمة ، إلا أنه :

١- ييسر تلقي المعرفة والعلم ، فهما واستيعابا .

٢- يشجع على وضع المصطلحات العلمية ، والألفاظ الحضارية ، وتأليف الكتب .

٣- يدفع الى تعلم اللغة الأجنبية التي يحتاج اليها الدارس والباحث ، للانتفاع بما في الكتب العلمية من جديد .

٤- يوسّع آفاق المهتمين بالعلم من غير ذوي الاختصاص ، ولاسيما الطب الذي تجب معرفة أولياته ، لزيادة الوعي به ، وعدم بقائه لغزا من الألغاز .

لم تعد المعرفة والعلم مقتصرة على طبقة دون أخرى ، وأَصبح الناس في مواطنهم يدرسون بلغاتهم ، ويعرف هذا كل من جابَ العالم ورأى الأقوام بلغاتهم يعتزون .

(٢)

تلك وقفة على أهم ما كان متعارفا عليه في التعليم الجامعي ، وقد صيغ كثير من الأعراف قوانينَ نافذة ، وأنظمة ملزمة في التطبيق ، ولكنْ ليس كل تقليد أو عرف بنافع ، ومن ذلك السلوك الذي يخرج عن القيم الدينية والانسانية الرفيعة ، ومثلها الايمان بالخرافات وما يدعو الى التخلف ، وهذه مسألة أكدها (القرآن الكريم) إذ نفى أن يكون كل معتقد أو تقليد أو عرف صالحا، وذلك في كلامه على الذين تمسكوا بما كان عليه آباؤهم ، ولم يأخذوا بما جاء به الرسل ، وما فيه صالحهم وخير الدنيا والدين . وجاءت عدة آيات في ذلك ، منها قوله ـ سبحانه وتعالى ـ : "وإذا قيلَ لهم تعالَوا الى ما أَنزلَ اللهُ والى الرسولِ قالوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عليه آباءَنا أَو لَو كان آباؤُهمْ لا يعلمونَ شيئا ولايهتدون"

(المائدة ١٠٤) ، وقوله : "بل قالُوا إنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ وإنَّــا علــى آثارِهم مٌّهتدُون" (الزخرف ٢٢) ، وقوله : " قالُوا بل وَجَدْنا آباءَنا كــذلك يفعلُون" (الشعراء ٧٤) .

فهذه الآيات دليل على بطلان العرف الفاسد ولا سيما في العقيــدة حيث كان المتمسكون بالتقاليد والأَعــراف التــي ورثوهــا عــن آبــائهم لا يُومنون بما جاء به الرسل والانبياء لترسيخ العقائد الصحيحة ، والأَخذ بما هو صالح في الدنيا والآخرة. وهذا ينطبق على كل شــيء ، والعلــوم والقوانين لا تخضع إلا للأعرافِ التي تؤدي الى خير العمل وأحسنه .

وهناك أَعراف لا ينكرها المجتمــع ؛ لأَنهــا ذات قــيم رفيعــة ، والتمسك بها حفاظ على وحدة المجتمع ، ويدخل في ذلــك التعــاون بــين منتسبي الجامعة ، وشدّ عُرى الصداقة والألفة والمحبة بينهم ، فضلا عــن تعاملهم الحسن مع الطلبة الذين يمثلون المستقبل ، ولابدَّ مــن أَن يأخــذوا الأَعراف المفيدة من أساتذتهم ؛ لأَنهم سيحملون الراية بعدهم حين يخرجون الى الحياة العملية .

فالتقاليد والأَعراف التي تعزز المجتمع الــصالح الــواعي تجعــل الجامعة حرما آمنا حيث يسود الإخاء ، وتعم الألفة بين جيل يربي جــيلا جديدا يحمل الأَمانة ، ويؤدي دوره في سبل الحياة .

فالصلة الوثقى بين الأَساتذة والطلاب مما تحمد ، فضلا عــن أَن قانون الجامعة يؤكد هذه الصلة ، وقد بينتهــا المــادة الثانيــة (أَولا) مــن (قانون الخدمة الجامعية رقم ٢٣ لسنة ٢٠٠٨م) ، إذ يتولى الاستاذ "رعاية الطلبــة فكريا وتربويا بما يحقق مصلحة الوطن والأمة في إرساء دعــائم

المجتمع العراقي الديمقراطي نحو بناء حضارة إنسانية راقية ، متخذا من الأسلوب العلمي في التفكير والممارسة أداةً لتحقيق تلك الأهداف".

ورسخت في الجامعة تقاليد وأعراف غير تلقي العلم ومنها : القيام بالرحلات، وحضور المؤتمرات والندوات والمواسم الثقافية ومعارض الرسم والكتب وغيرها ، وهذا ما كانت الجامعة تعمل به سابقا ، ويُؤخذ به في الوقت الحاضر لما له من أثر في ثقافة الطالب ، وعقد الصلة بالنشاط الجامعي الذي هو رديف لاكتساب العلم والخبرة العملية ، فضلا عن المتعة الغامرة والاحساس الرقيق .

والتعليم العالي في العراق وهو يغذّ الخطى نحو مستقبل زاهر قادر على أن يُضيف الى التقاليد والأعراف ما يستجد في ضوء الأهداف السامية التي يسعى اليها .

وبعد:

فالجامعة تسير اليوم على وفق القوانين ، فمن أين جاءت التقاليد والأعراف ؟ أهي التي أَحدثت القوانين أم أن القوانين صدرت فصارت تقاليدَ وأعرافا ؟

إن النظر في الظروف التي نشأت فيها (جامعة بغداد) سنة ١٩٥٧م ، يعلم أنها استقت قانونها من الجامعات الخارجية كجامعة القاهرة وجامعتي كيمبردج واكسفورد ؛ وبعض الجامعات الامريكية ؛ لأَن الذي تولاها عند تأسيسها كان خريج إحدى تلك الجامعات ، فضلا عن أن الذين آزروه كانوا من خريجي تلك الجامعات أيضا، وهذا أمر طبيعي إذ لم تكن أعراف جامعية من قبلُ إلا ما كان في (جامعة آل البيت) التي لم تعمر طويلا ،

وهي أعراف لم تستقر. وأصبح قانون الجامعة عرفا نبعت منه التشريعات الجامعية . وهذه الظاهرة بخلاف صدور القوانين أول مرة ، إذ اشتقت التشريعات الدستورية والقانونية ـ ولاسيما في المجتمعات القديمة ـ من التقاليد والأعراف التي استقر بعضها ، وتطور بعضها الآخر ، وعُدَّ العرف في بعض الدول مصدرا من مصادر التشريع .

والجامعة مؤسسة نبعت من المجتمع ، ولابدَّ من أن تقدم له من العلم والتخطيط ما يجعله مزدهرا ، وأن تواكب الجديد لتظل نابضة بالحياة ، ثرَّةَ العطاء ، وقد تكون بعض التقاليد والأعراف عائقا في أداء دورها الريادي ، وهنا لابدَّ من أن تتخطاها ، وقد يخلق سنُّ القوانين الجديدة أعرافا تكون أساس انطلاقة واسعة المدى في المستقبل القريب .

وصفوة القول إن هناك تقاليدَ وأعرافا عززتها القوانين ، فمنها ما بقي ، ومنها ما اندرس تبعا للتغيرات التي حدثت في مسيرة التعليم العالي في العراق ، وإذا ما أُريد للجامعة أن تظل في حركة ونشاط ، ومتابعة التطورات العلمية والإدارية فعليها أن تعود الى التقاليد والأعراف الجامعية ، وتنظر فيها ، وتطلع على ما أثمرت في حينه ، لتأخذ ما يطور العملية العلمية والتربوية ، وينهض بها ، ومن ذلك :

أولا : التزام الجامعة بالروح العلمية ، والابتعاد عن التيارات المتصارعة ، لتظل حرما آمنا يستظل بها منتسبوها من أساتذة وطلبة وموظفين ، ولتؤدي مهامها ، وتحقق أهدافها .

ثانيا : انتخاب رئيس الجامعة ، وعمداء الكليات والمعاهد ، ورؤساء الأقسام العلمية ، ضمانا لسير العمل بلا عقبات ، ولشعور الأساتذة بالرضى واحساسهم بأنهم جزء من العملية الميدانية ، بعد أَن شاركوا في الانتخاب ، ووضعوا ثقتهم فيمن انتخبوه .

ثالثا : قيام من انتُخبوا لإدارة الجامعة ومؤسساتها بالحرص عليها، وإرساء روح المودة والأُلفة والتعاون بين منتسبيها ، والذود عنها ، وبذل الجهد في نجاحها ، وأن يظل ذلك عرفا سائدا.

رابعا : احترام الأساتذة الكبار وتقديرهم ، ومنحهم لقب (أستاذ متمرس) بعد تقاعدهم ، ليظلوا متواصلين في عملهم الجامعي : تدريسا ، وإشرافا ، ومناقشة ، واستشارة ، وليشعروا بأنهم ما زالوا معززين مكرمين .

خامسا : تطبيق القوانين والأَنظمة بدقة في تعيين التدريسيين والموظفين ، ليأخذ كل ذي حق حقه ، ولا يكون أحدهم من المهمشين فتخسر الجامعة الأكفاء .

سادسا : الأخذ بشروط الترقية العلمية ومراحلها بما كان سائدا من قبل ، لأَن ذلك يمنح المرتبة العلمية قيمة كبرى ، وخشية أَن تتأخر الترقية الى (أستاذ) يعاد لقب (أستاذ مشارك) ليتمَتع المتقدم للترقية بحقوق الاستاذ ، وليشعر بالاطمئنان ، ويقدم العطاء وإن تأخرت ترقيته لأي سبب من الأَسباب .

سابعا : استحداث درجة (الامتياز الخاصة) في المرحلة الجامعية الأولى لتهيئة طلبة مؤهلين لإكمال دراستهم العليا.

ثامنا : الأخذ بما كان عليه الإِشراف سابقا، وذلك بإسناده الـــى الاســـاتذة أولا، ثم الى الاساتذة المساعدين ، ويُعطـــى المـــدرس الفرصـــة لاستكمال دراساته وبحوثه ، واكتساب الخبـــرة ليتهيـــأ للاشـــراف حين يُرقي الى مَرتبة أعلى ، وليس في ذلك منقـــصة لمنزلتـــه ، ولكن لابدّ للجامعة من أَن تكون لها أَعراف تجعلها فـــي مـــصاف الجامعات الأخرى .

تاسعا : إِعادة النظر في أُسلوب مناقشة الرسائل العلمية.

عاشرا : تهيئة الظروف المناسبة لاستكمال المصادر والمختبرات ، ليعود نهج التدريس كالسابق إلقاء المحاضـــرة ، وعـــودة الطلبـــة الـــى المراجع ، وإجراء التجارب المختبرية والميدانية.

حادي عشر: الاهتمام بتأليف الكتب المساعدة ، والاســـتفادة مـــن الخبـــرة السابقة حين أُقر التعريب سنة ١٩٧٦م وأُلفت الكتـــب المنهجيـــة ، وترجمت الكتب العلمية الحديثة .

ثاني عشر: إِنشاء جامعات متخصصة في البيئات التي تُناسبها .

ثالث عشر: الأخذ بمبدأ الجامعات المفتوحة على غرار الكليات المفتوحـــة ليتسنى لمن فاتته فرص التعليم أَن يستكمل ثقافته ، ويعمق ما يميل اليه من علوم قد تنفعه في عمله أو تكون وسيلة للحـــصول علـــى عمل نافع .

رابع عشر: التدريس باللغة العربية لأَنها هُوية الأمة ، ولأَن التعليم باللغة الأم اكثر قدرة على التحصيل العلمي والفهم والاستيعاب ، ولأَنـــه يشجع على التأليف والترجمة ، ووضـــع المـــصطلحات العلميـــة

والألفاظ الحضارية ، ولايعني هذا العزوف عن الاهتمام باللغات الأجنبية التي هي مدخل الى كل جديد .

خامس عشر: الأَخذ بالنشاطات المختلفة وتفعيلها ، إِذ هي رديف للعملية العلمية والتربوية ، وعون على تنشئة جيل يتسم بثقافة واسعة ، وخبرة كبيرة ، وإدراك عميق .

سادس عشر: الانفتاح على الجامعات العربية والأَجنبية والاستفادة من أَعرافها وقوانينها وتنظيماتها ، ومتابعة التطورات العلمية التي يشهدها العالم وانعكاساتها على الجامعة وأَهدافها .

هذه بعض المقترحات التي عَنَّت بعد النظر في التقاليد والأَعراف الجامعية ، وهي ليست بعيدة عن المهتمين بالتعليم الجامعي ، ومن يقوم على إدارته ووضع خطوات التنفيذ ، ليظل نبراسا يُستضاء به في التخطيط والبناء .

التنمية البشرية المستدامة في البلاد العربية

الدكتور داخل حسن جريو

عضو المجمع العلمي

الملخص

لم يعد مفهوم التنمية محصورا بزيادة معدلات دخل الأفراد فقط ، بل أصبح الآن أكثر شمولية لعناصر الحياة العصرية من صحة وتعليم وبيئة مناسبة ورفع مستويات معيشة المواطنين ، وتطوير مفاصل الاقتصاد المختلفة ، والاستفادة من الثروات الطبيعية لتنمية جميع مناطق البلاد من دون إلحاق أضرار فادحة بالبيئة . تتناول هذه الدراسة أبرز مكونات التنمية البشرية المستدامة التي بدونها لا يمكن تحقيق تنمية صحيحة لأي بلد من البلدان .

مقدمة

تهدف برامج التنمية البشرية المستدامة إلى تحسين حياة الناس عامة والفقراء منهم خاصة ، عبر توزيع عادل للثروات ، وتأمين فرص تعليمية ورعاية صحية مناسبة لهم ، والسعي لتوفير فرص عمل لطالبيه للإسهام ببناء بلدانهم . كما تسعى هذه البرامج إلى الحفاظ على البيئة ومكافحة ما قد يلحق بها من أضرار فادحة نتيجة الاستنزاف الجائر للموارد الطبيعية ومكافحة التلوث البيئي الناجم عن عمليات التصنيع الواسعة التي تشهدها بلدان العالم المختلفة ، أي باختصار تلبية حاجات الناس حاضرا ومستقبلا من دون إلحاق أضرار فادحة بالبيئة .

تواجه برامج التنمية البشرية المستدامة في معظم البلدان النامية ومنها البلدان العربية تحديات جمة ، أبرزها الآتي :

١. الفقر والجوع .

٢. أزمة المياه .

٣. التغيرات المناخية .

٤. مشكلة الأمية .

٥. الرعاية الصحية .

٦. تنمية المرأة .

سنتناول في البنود اللاحقة تفصيلات هذه التحديات .

تحديات الفقر والجوع

حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام ٢٠٠٠ أهداف الألفية الثالثة للتنمية ، وفي مقدمتها أنه يجب تخفيض عدد الفقراء والجياع في العالم إلى النصف بحلول العام ٢٠١٥ ، مقارنة بأعدادهم في العام ١٩٩٠.

يعد الإنسان فقيرا على وفق المعايير الدولية إذا كان دخله اليومي أقل من دولار أمريكي واحد ، ويعد جائعا إذا لم يحصل على الغذاء اللازم لإدامة حياته وتأدية وظائفه الفسلجية على الوجه المطلوب .

يشير تقرير منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة لعام ٢٠٠٨ إلى أن عدد الجياع في الدول النامية في العام ٢٠٠٥ قد بلغ نحو (٨١٠) مليون جائع ، منهم (٥٣٠) مليون جائع في دول آسيا والمحيط الهادي ، و(٢٢٠) مليون جائع في الدول الأفريقية ، و(٤٠) مليون جائع في دول

أمريكا اللاتينية والكاريبي ، و(٣٠) مليون جائع في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا .

ولتحقيق هذا الهدف الإنساني وأهداف إنسانية أخرى دعت إليها الجمعية العامة للأمم المتحدة ، تضافرت جهود دولية عديدة ، منها منظمة التعاون الاقتصادي والإنمائي ، والبنك الدولي ، ومصرف النقد الدولي ، حيث أصدرت مجتمعة تقريرا بعنوان : عالم أفضل للجميع. وقد أوصى التقرير بضرورة قيام الدول ولاسيما الدول الغنية بحشد جميع الطاقات كي يتمكن الناس في أرجاء المعمورة من الإفلات من قبضة الجوع والفاقة والفقر والحرمان بأسرع وقت ممكن .

وبفضل هذه الجهود الخيرة انخفض مستوى الفقر المدقع في الدول النامية كما يشير أحد التقارير الصادرة من هيئة الأمم المتحدة من نسبة (٤٦٪) من إجمالي عدد السكان في العام ١٩٩٠ إلى نسبة (٢٧٪) في العام ٢٠٠٥. كما انخفض عدد الجياع من (٢٠٪) في العام ١٩٩٠ إلى (١٧٪) في العام ٢٠٠٨. تتفاوت هذه النسب باختلاف الدول ، إذ يلاحظ أن الصين مثلا قد حققت أفضل النسب بتخفيضها نسبة عدد الفقراء لديها من (٦٠٪) في العام ١٩٩٠ إلى (١٦٪) في العام ٢٠٠٧ ، وتخفيض عدد الجياع من (١٥٪) في العام ١٩٩٠ إلى (٩٪) في العام ٢٠٠٤.

وفي بلادنا العربية ما زال الجوع والفقر والجهل تفتك بأمتنا ويعوق جهودها التنموية الرامية الى تحقيق رفاهيتها وأمنها واستقرارها. يشير تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٩ إلى وجود نحو (٢٥,٥) مليون جائع في البلدان العربية ، أي ما نسبته (١٥٪) من إجمالي السكان ،

تتصدر السودان واليمن الدول العربية بعدد الجياع بوجود (٨) ملايين جائع بكل منهما . تتفاوت نسب أعداد الجياع إلى إجمالي عـدد السكان بكل منها ، إذ تبلغ أقصاها (٦٠٪) في جزر القمر ، و(٣٨٪) في اليمن ، و(٢٦٪) في السودان ، و(١٥٪) في موريتانيا ، و(٦٪) في كل من الأردن والمغرب ، و(٥٪) في الكويت ، و(٤٪) في كل من مصر والمملكة العربية السعودية ، ونحو (٢,٥٪) في الدول العربية الأخرى .

يلاحظ بأسف شديد أنه في الوقت الذي استطاعت فيه الدول النامية تخفيض عدد الجياع لديها ، ازداد عدد الجياع في الدول العربية بمقدار (٥,٧) مليون شخص خلال الفترة (١٩٩٠ - ٢٠٠٤) ، على الرغم من الزيادات الكبيرة في مواردها المالية .

وعلى الرغم من كل ما حققته البشرية من تقدم هائل في العلوم والتقنية والمعارف الإنسانية المختلفة ، إلا أن الجوع والحرمان ما زال يهدد حياة الملايين من الناس في أرجاء المعمورة ويسلبهم حريتهم وكرامتهم والعيش بأمن وأمان ، ويحرمهم من أبسط حقوقهم في التعليم والرعاية الصحية اللازمة لهم ولأسرهم ، إذ ما زالت الأمراض تفتك بهم ، ويموت الكثير من أطفالهم سنويا في أثناء الولادة ، أو بأعمار لا تتجاوز سن الخامسة بسبب نقص التغذية وقلة الوعي الصحي وعدم توفر الرعاية الصحية .

لا شك في أن الفقر والجوع لهما آثار اجتماعية خطيرة ، يمكن إيجازها بالآتي :

١ . تهديد الأمن والسلم الاجتماعي .

٢ . تهديد الاستقرار السياسي.

٣ . إعاقة جهود التنمية الشاملة والمستدامة .

٤ . تعطيل قدرات وطاقات إنسانية مهمة من الإسهام ببناء بلدانها.

٥ . تعاظم معدل الفساد والجريمة بأنواعها المختلفة.

٦ . تردي الأوضاع الصحية وتفشي الكثير من الأمراض .

لذا فأن جهودا حثيثة يجب أن تبذل على كل المستويات ، كل من موقعه للتصدي لحالات الفقر والجوع والسعي لاجتثاثها حيثما وجدت ، بتوفير فرص التعليم والعمل للجميع ، والرعاية الصحية والاجتماعية للمحتاجين منهم ولاسيما الأطفال وكبار السن. وبذلك تكون قواعد العدالة قد أرسيت على وفق أسس إنسانية سليمة ، وينعم الجميع بخيرات بلدانهم في أجواء من الألفة والمودة ، والشعور بالأمن والآمان .

أزمة المياه

تواجه البلاد العربية أزمة مياه حادة حيث أن معظم مصادر المياه تقع خارج حدود وطننا العربي. تشير التقديرات الواردة بتقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٩ إلى أن الحجم الإجمالي لموارد المياه المتوافرة في البلدان العربية نحو (٣٠٠) مليار متر مكعب سنويا ، معظمها من مياه الأنهار (٢٧٧) مليار متر مكعب سنويا ، ينبع (٤٣٪) منها في البلدان العربية ، و(٥٧٪) من البلدان المجاورة ، مما يجعل البلدان العربية عرضة للضغوط من الكثير من دول الجوار .

تحاول البلدان المجاورة استغلال مياه الأنهار المشتركة لصالحها على حساب مصالح البلدان العربية المشروعة. قامت إسرائيل بمساعدة أثيوبيا في بناء ثلاثة سدود على نهر النيل الأزرق للتحكم بمياه نهر النيل ، كما قامت تركيا بتنفيذ مشروع الجاب على مجاري نهري دجلة والفرات ، ويشتمل المشروع على سبعة سدود على نهر الفرات وستة سدود على نهر دجلة. وقد تسببت هذه السدود بحرمان العراق من حصته المائية المقررة بموجب الاتفاقات الدولية ، الأمر الذي أدى إلى تصحر مساحات شاسعة من أراضيه الزراعية ، وارتفاع نسب الملوحة فيها ، مما يستلزم إعادة استصلاحها إذا ما أريد زراعتها ثانيا. وقامت إيران بتحويل مجاري بعض الأنهار مثل أنهار الكارون وديالى والوند إلى داخل أراضيها بدلا من وجهتها المعتادة نحو العراق ، مما حرم مدن وقرى كثيرة من مواردها المائية بلا وجه حق . وتتعسف إسرائيل بمطالبها المائية تجاه الدول العربية المجاورة وحرمانها من حصصها المائية. ولعل الاتفاق الإطاري الجديد بشأن تقاسم مياه نهر النيل الذي وقعته قبل مدة قصيرة أربع من دول شرق أفريقيا هي أثيوبيا واوغندة وروواندا وتنزانيا ، من دون مراعاة الحقوق التاريخية لكل من مصر والسودان ، المستفيدين الرئيسين من مياه نهر النيل بموجب الاتفاقية الموقعة عام ١٩٩٥ ، خير شاهد ودليل ، على عدم مراعاة دول الأنهار المشتركة ، المواثيق الدولية التي تحدد حقوق جميع الدول المستفيدة من هذه المياه على مر العصور والأزمان ، مما يتطلب التصدي الحازم لمثل هذه الأعمال التعسفية ، ووضع حل عادل

ومنصف لجميع الدول ذات العلاقة على وفق المعايير الدولية ومبادئ القانون الدولي.

تقدر المنظمة العربية للتنمية الزراعية مخزون المياه الجوفية العذبة في البلاد العربية نحو (٧٧٣٤) مليار متر مكعب ، في حين لا تتعدى كمية المياه التي تعيد ملأ هذه المكامن (٤٢) مليار متر مكعب سنويا ، ولا تتجاوز الكمية المتاحة للاستعمال (٣٥) مليار متر مكعب سنويا. ويقع المخزون الأكثر تجددا في تونس والجزائر والسودان والصومال وليبيا ومصر والمغرب .

توجد مصادر أخرى للمياه مثل مياه البحار التي تجري تحليتها في دول الخليج العربي على نطاق واسع ، ومياه الصرف الصحي والزراعي المعالجة التي تستخدم حاليا على نطاق ضيق .تقدر كميات الصرف الصحي نحو ستة مليارات متر مكعب ، وهي آخذة في الزيادة عاما بعد آخر بسبب التطور الحضري الذي تشهده البلدان العربية .

وتزداد الأمور تعقيدا إذا علمنا أن معظم البلدان العربية تعاني من مشكلات الجفاف والتصحر. تقدر مساحة الأراضي الصحراوية في الوطن العربي قرابة (٦٩٪) من مجموع مساحة الوطن العربي وتزحف هذه الصحاري على الأراضي الزراعية بمعدل ١٥ كيلو متر سنويا . يهدد التصحر نحو (٢,٨٧) مليون كيلو متر مربع ، أي نحو (٢٠٪) من المساحة الكلية للوطن العربي ، (٤٨,٦٪) من مساحة الأرض في المشرق العربي ، و(٢٨,٦٪) في وادي النيل والقرن الأفريقي ، و(١٦,٥٪) في شمال أفريقيا ، و(٩٪) في شبه الجزيرة العربية. وعلى صعيد الدول ،

يبرز التهديد الأكبر في ليبيا وجيبوتي ومصر والأردن والإمارات العربية المتحدة والبحرين والكويت وقطر.

يقدر العجز المائي في الوطن العربي نحو(١٥٠) مليار متر مكعب في العام ٢٠٠٠ ، منها في مصر على سبيل المثال أكثر من (١٣) مليار متر مكعب ، وفي سورية أكثر من مليار متر مكعب ، ويعاني الأردن من عجز مائي كبير بحدود (٢٠٪) من إجمالي احتياجاته المائية. لذا يتوقع أن تكون المياه مصدر صراعات وربما حروب بين الدول ما لم يتم التصدي لها ومعالجتها على وفق مبادئ القانون الدولي بالحق والعدل . يتوقع المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة ، ظهور عجز مائي في الوطن العربي بنحو (٢٦١) مليار متر مكعب بحلول عام ٢٠٣٠ .

تستحوذ الزراعة المروية على موارد المياه في البلاد العربية بنسبة (٨٨٪) مقابل نسبة (٦,٩٪) للاستخدام المنزلي و(٥,١٪) للقطاع الصناعي. يشير التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٠١ إلى أن حصة الفرد العربي من موارد المياه المتجددة نحو (١٠٠٠) متر مكعب ، مقابل (٧٠٠٠) متر مكعب للفرد عالميا ، ويتوقع التقرير انخفاض حصة الفرد العربي إلى (٤٦٠) متر مكعب بحلول عام ٢٠٢٥ ، وهي دون مستوى الفقر المدقع على وفق المعايير الدولية.

حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة أحد أهداف الإنمائية للألفية: تخفيض نسبة الذين لا يحصلون على مياه شرب محسنة إلى النصف بحلول عام ٢٠١٥. بلغت نسبة السكان الذين يحصلون على مياه محسنة

عام ٢٠٠٤ نحو (٩٤٪) في دول مجلس التعاون الخليجي و(٨٨٪) في البلدان العربية الأخرى . ويمثل ذلك تحسنا طفيفا مقارنة بالعام ١٩٩٠ حيث كانت النسبة (٨٣٪) في البلدان العربية.

وفي ضوء ما تقدم لابد من أن تتخذ البلدان العربية إجراءات حازمة لتنمية مواردها المائية وإدامتها بصورة مستمرة ، نوجزها بالآتي :

١. ترشيد استهلاك الموارد المائية للأغراض الزراعية بإتباع أساليب ومنظومات ري حديثة مثل منظومات الري بالتنقيط ، والري بالرش ، واستنباط سلالات وأصناف جديدة من المحاصيل التي لا تستهلك مياه كثيرة ، وتتحمل درجات عالية من الملوحة .
٢. تخزين المياه الفائضة عن الحاجة ، بإنشاء السدود والخزانات للاستفادة من الفائض.
٣. تقليل الفاقد من المياه عن طريق التبخر والتسرب أثناء نقلها أو استخدامها في الأغراض المختلفة .
٤ . الاستثمار في مشاريع تقنية تحلية مياه البحار والمحيطات والسعي إلى خفض تكاليفها.
٥. التوسع بمعالجة مياه الصرف الصحي وتشجيع استخدامها للأغراض الصناعية والزراعية.
٦. عقد الاتفاقات الدولية بين دول الأنهار المتشاطئة بما يضمن التقسيم العادل لهذه المياه على وفق قواعد القانون الدولي .

التغيرات المناخية

بات الترابط بين التنمية المستدامة والتغيرات المناخية أكثر وضوحا في عصرنا الراهن ، إذ لم يعد النمو الاقتصادي مقبولا بحد ذاته ما لم يؤدِ إلى الحفاظ على البيئة الإنسانية وعدم استنزاف مواردها الطبيعية ، لضمان حقوق الأجيال القادمة ، إذ تشير الدراسات إلى تأثير التغيرات المناخية في الثروة الزراعية والطاقة والبحار والمحيطات ، والصحة وغيرها ، يمتد تأثيرها ليشمل العالم بأسره ، مما يتطلب تعاونا دوليا وثيقا للحد من آثار التغيرات المناخية من منظور إنساني ، يحافظ على البيئة من جهة ، ويحقق معدلات تنمية متوازنة تكفل حقوق جميع الدول حاضرا ومستقبلا من جهة أخرى. تعرف التنمية المستدامة بأنها التنمية التي تلبي حاجات الحاضر من دون إلحاق أضرار بحاجات المستقبل.

ازداد اهتمام دول العالم المختلفة ولاسيما الدول الصناعية الكبرى بموضوع التغيرات المناخية منذ اكتشاف ثقب الأوزون في العام ١٩٧٤، حيث قامت منظمة الأرصاد الجوي العالمية برصد الإنبعاثات الغازية وقياس آثارها في طبقة الأوزون ، وهي الطبقة التي تمنع الأشعة فوق البنفسجية الضارة بجميع الكائنات الحية ، من الوصول إلى الأرض .

تشير الدراسات إلى أن درجة حرارة الأرض قد ارتفعت بسبب الإنبعاثات الغازية ولاسيما غاز ثاني أكسيد الكربون ، بمقدار(٠,٧٥) درجة مئوية عما كانت عليه قبل الثورة الصناعية ، ويتوقع ارتفاعها إلى درجتين مئويتين بحلول عام ٢٠٥٠م . وقدر تعلق الأمر بمنطقتنا العربية ، فأن تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٨ يشير إلى أن إنبعاثات

ثاني أكسيد الكربون في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ما زالت متدنية نسبيا ، إذ لم تتجاوز (١٠١٢,٥) طن متري ، مقابل (١٠٧٣٥,٥) طن متري في بلدان العالم ذات الدخل المتوسط ، و(١٢٧٣٨,٤) طن متري في بلدان العالم ذات الدخل المرتفع .

أصبح تأثير التغيرات المناخية في الوقت الحاضر أكثر وضوحا في مجريات حياتنا اليومية ، كما باتت أساليب حياتنا هي الأخرى تؤثر في التغيرات المناخية ، إذ كلما ازدادت سخونة الأرض ، ازدادت الأضرار البيئية تبعا لذلك ، وكلما ازداد النشاط الصناعي ، ازدادت الإنبعاثات الغازية المسببة للاحتباس الحراري المسبب للتغيرات المناخية . يكمن إبراز أهم الأضرار البيئية بالآتي :

١. يمكن أن يتسبب التغير المناخي في ارتفاع مستوى سطح البحار والمحيطات ، مما يسبب فيضانات ساحلية مدمرة للبنى التحتية في المدن الساحلية ، وإلحاق أضرار فادحة بتجمعاتها السكانية ، وهو أمر يهدد حياة الملايين من الناس وممتلكاتهم في دول عربية عديدة مثل البحرين وجيبوتي والكويت وليبيا والإمارات العربية المتحدة ومصر وجزر القمر ولبنان وتونس والمملكة العربية السعودية.

٢. انخفاض معدلات سقوط الأمطار في الكثير من البلدان ، ومنها البلدان العربية ولاسيما مصر ودول شمال أفريقيا والمملكة العربية السعودية والأردن وسورية بنسبة (٢٠٪ - ٢٥٪) ، حسب تقديرات بعض الخبراء ، الأمر الذي يهدد الأمن الغذائي لهذه الدول بدرجة كبيرة.

٣. ذوبان الثلوج في أعالي الجبال مما يهدد بفيضان الأنهار في الكثير من البلدان وإلحاق أضرار فادحة بأراضيها الزراعية وممتلكاتها الأخرى .

٤. ازدياد نشاط الأعاصير الاستوائية التي تلحق آثارا مدمرة في الكثير من الدول ، والأمثلة على ذلك كثيرة كان آخرها إعصار (فيت) الذي ضرب سلطنة عمان قبل مدة قصيرة .

٥. يتوقع بعض الخبراء أن ارتفاع درجة حرارة الأرض قد يؤدي إلى انخفاض إنتاجية بعض المحاصيل المهمة مثل القمح والذرة ، وزيادة استهلاك المحاصيل الزراعية من المياه ، وتناقص الثروة الحيوانية .

٦. يتوقع أن يضرب التصحر الأجزاء الشمالية من السودان والمغرب والمملكة العربية السعودية بسبب التغيرات المناخية .

٧. يتوقع تناقص كميات المياه العذبة في الكثير من الدول ، ومنها البحرين والسودان وجيبوتي وتونس والجزائر والمغرب والأردن وسورية والإمارات العربية المتحدة ، مما ستكون له آثار جسيمة على الإنتاج الغذائي ، مما يزيد من مخاطر سوء التغذية والمجاعة في هذه الدول .

٨. تؤثر التغيرات المناخية بنوعية المياه الجوفية ، إذ أن المياه العذبة قد تتلوث بتغلغل مياه البحر إلى الأحواض الجوفية الساحلية ، مما يؤثر على مخزون مياه الشرب .

٩. تفشي بعض الأمراض المعدية مثل الملاريا والبلهارسيا ، حيث يقتصر ارتفاع درجة الحرارة فترة الحضانة ويوسع مجال البعوض الناقل للملاريا ويزيد أعداده ولاسيما في السودان ومصر والمغرب ، وستزداد الأمراض الرئوية في البلاد العربية نتيجة ازدياد العواصف الرملية وتلوث الهواء .

١٠. يتوقع أن تكون موجات الحر في بعض المناطق أطول وأكثر حرا ، مما يتسبب في زيادة حالات الوفاة والأمراض نتيجة شدة الحر ولاسيما بين الأطفال وكبار السن ، مما يشكل قلقا كبيرا على الصحة العامة ، كما حصل فعلا في بعض الدول الأوربية عام ٢٠٠٣ بسبب موجات الحر التي اجتاحتها والتي أدت إلى وفاة (٧٠٠٠) شخص .

١١. تؤدي التغيرات المناخية إلى انقراض بعض الكائنات الحية .

ولأجل الحد من إنبعاثات غازات الاحتباس الحراري وما ينجم عنها من تغييرات مناخية تهدد حياة البشر في كل مكان ، لابد من تضافر جهود الدول المختلفة ولاسيما الدول الصناعية الكبرى المسبب الرئيس لهذه الإنبعاثات الغازية بسب كثافة أنشطتها الصناعية ، باتخاذ إجراءات سريعة وفاعلة ، نوجزها بالآتي :

١. التحول إلى أنواع من الوقود الأنظف الخالية من الكربون أو المنخفضة الكربون ، مثل التحول من النفط إلى الغاز.

٢. التوسع باستخدام مصادر الطاقات الجديدة والمتجددة مثل الطاقة الشمسية والطاقة النووية وطاقات المياه وطاقات الرياح. ولعل من حسن الطالع أن البلدان العربية تمتلك إمكانات جيدة لتطوير الطاقات الجديدة والمتجددة مثل الطاقة الشمسية وطاقات الرياح وطاقات المياه والطاقة الحرارية الجوفية ، إلا أنها غير مستغلة جيدا حتى الآن ، مما يستلزم استغلالها للحفاظ على ثرواتها الطبيعية لأطول مدة ممكنة ، كما لابد من سبر غور الاستفادة من إمكانات الطاقة النووية السلمية الهائلة لتأمين حاضر امتنا ومستقبلها بالعيش الكريم .

٣. تحسين كفاءة استهلاك الطاقة .
٤. استخدام التقنيات الصديقة للبيئة .
٥. تحديد المناطق المتوقع تعرضها للجفاف أو الأعاصير والفيضانات لاتخاذ الإجراءات الوقائية لحمايتها.
٦. بناء القدرات الوطنية في مجالات علوم البيئة وتقنياتها والتغيرات المناخية .
٧. تشجيع الجامعات ومراكز البحوث العلمية على إجراء المزيد من البحوث البيئية والمناخية في إطار جهود دولية مشتركة ، وتخصيص جوائز ذات قيمة مالية واعتبارية لأفضل الباحثين المتميزين في هذا المجال .
٨. تبادل المعلومات والخبرات بين الدول المختلفة في مجالات البيئة والمناخ .

مشكلة الأمية

تشكل الأمية عقبة أساسية من عقبات التقدم وهي تعوق القوى البشرية عن القيام بدورها الكامل في عمليات التنمية. يعد خلق الوعي الجماهيري الشامل بمشكلة الأمية امرا مهما وضروريا لاستنهاض عوامل النزعة الوطنية الصادقة في مجال محو الأمية ، وذلك من أجل خلق دور داعم ومساند للجهود المبذولة في التسريع بالقضاء على الأمية أو خفض نسبتها إلى الحد الأدنى وذلك من خلال تحريك جميع قطاعات المجتمع على وفق الخطط والبرامج المطلوب تنفيذها .

بلغت نسب محو الأمية في الدول العربية للبالغين من عمر ١٥ سنة فما فوق للسنوات ١٩٩٥ – ٢٠٠٥ كما مبين في الجدول (١) :

جدول (١)

% نسب محو الأمية في الدول العربية للبالغين من عمر ١٥ سنة فما فوق للسنوات ١٩٩٥ – ٢٠٠٥ .

الدولة	إناث	ذكور	جملة
الكويت	٩١	٩٤,٤	٩٣,٣
قطر	٨٨,٦	٨٩,١	٨٩
الإمارات	٨٧,٨	٨٩	٨٨,٧
البحرين	٨٣,٦	٨٨,٦	٨٦,٥
ليبيا	٧٤,٨	٩٢,٨	٨٤,٢
عمان	٧٣,٥	٨٦,٩	٨١,٤
السعودية	٧٦,٣	٨٧,٥	٨٢,٩
الأردن	٨٧	٩٥,٢	٩١,١
لبنان	٩٣,٦	٩٣,٦	٩٣,٦
تونس	٦٣,٣	٨٣,٤	٧٤,٣
الجزائر	٦٠,١	٧٩,٦	٦٩,٩
فلسطين	٨٨	٩٦,٧	٩٢,٤
سورية	٧٣,٦	٨٧,٨	٨٠,٨
مصر	٥٩,٤	٨٣	٧١,٤
المغرب	٣٩,٦	٦٥,٧	٥٢,٣
جزر القمر	٦٣,٩	٦٣,٩	-
موريتانيا	٤٣,٤	٥٩،٥	٥١,٢
السودان	٥١,٨	٧١,١	٦٠,٩
جيبوتي	٧٩,٩	٧٩,٩	-
اليمن	٣٤,٧	٧٣,١	٥٤,١
العراق	٦٤,٢	٨٤,١	٧٤,١

يلاحظ من الجدول (١) الآتي:

١. تتصدر لبنان الدول العربية في إجمالي محو الأمية بنسبة (٩٣,٦٪) ، تليها الكويت بنسبة (٩٣,٣٪) ، وفلسطين بنسبة (٩٢,٤٪) ، والأردن بنسبة (٩١,١٪). تبلغ نسبة إجمالي محو الأمية في الدول العربية (٧٠,٣٪) وفي الدول النامية (٧٦,٧٪) ، وفي العالم (٧٨,٦٪).

٢. تتصدر لبنان الدول العربية في مجال أمية النساء بنسبة (٩٣,٦٪) ، تليها الكويت بنسبة (٩١٪) ، وقطر بنسبة (٨٨,٦٪) ، وتقع عمان في منتصف السلم بنسبة (٧٣,٥٪).

٣. تتصدر فلسطين الدول العربية في مجال محو أمية الذكور بنسبة (٩٦,٧٪) ، تليها الأردن بنسبة (٩٥,٢٪) تليها الكويت بنسبة (٩٤,٤٪).

٤. حددت هيئة الأمم المتحدة في إطار أهداف التنمية للألفية الثالثة هدف تحقيق شمولية التعليم الابتدائي ، ضمان تمكن جميع الأطفال من إكمال التعليم الابتدائي ، وتعزيز المساواة الجنوسية وتمكين النساء من حياتهن ، إزالة التفاوت بين الجنسين في التعليم الابتدائي والثانوي في فترة لا تتجاوز ٢٠١٥ .

الرعاية الصحية

تعد الرعاية الصحية وتوفير التعليم والأمن والغذاء أهم مرتكزات التنمية المستدامة ، فبدون أي منها لا يمكن تحقيق تنمية في بلد من البلدان إطلاقا ، ولعل ما يحصل الآن في العراق والصومال وأفغانستان والسودان

وبلدان أخرى خير شاهد ودليل. ومن هذا المنطلق حددت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة عام ٢٠٠٠ ضمن أهداف الألفية الثالثة للتنمية بالآتي:

١. تخفيض معدلات رفيات الأطفال في أثناء الولادة بنسبة (٧٥٪) من معدلاتها عام ١٩٩٠ .
٢. تخفيض معدلات وفيات الأطفال دون سن الخامسة من العمر إلى ثلثي معدلاتها عام ١٩٩٠.
٣. توفير وسائل آمنة لتحديد النسل وتنظيم الأسرة.
٤. مكافحة الأمراض التي تفتك بملايين البشر مثل السل والملاريا والايدز .
٥. تحسين البيئة المعيشية بتوفير مياه الشرب الصالحة للاستهلاك البشري ، وتوفير منظومات الصرف الصحي لتأمين بيئة آمنة من الأوبئة والمخاطر الصحية .

ولتحقيق هذه الأهداف الإنسانية النبيلة بذلت دول العالم جهودا حثيثة بحسب قدرات كل منها ، لتخفيف حدة الفقر والجهل والمرض لدى شعوبها ، وقد حققت نجاحات متفاوتة بحسب سياسات حكوماتها. وعلى الرغم من كل هذه الجهود ، ما زال هناك الملايين من البشر تفتك بأجسادهم الأمراض المميتة ، إذ يقدر عدد المصابين بمرض السل على سبيل المثال في العالم عام ٢٠٠٧ نحو (٩,٣) مليون مصاب ، معظمهم في قارة آسيا بنسبة (٥٥٪) وقارة أفريقيا بنسبة (٣١٪) ، ويقدر عددهم في البلاد العربية عام ٢٠٠٥ نحو (٢٤٠٠٠٠) مصاب ، توفى منهم (٤٣٠٠٠) شخص .

ويقدر عدد المصابين بمرض الملاريا في العالم عـام ٢٠٠٦ نحـو (٢٥٠) مليون شخص ، معظمهم من الأطفال دون سن الخامسة ، موزعين على أكثر من (١٠٠) بلد ، منها (٤٥) بلدا في قارة أفريقيا. يشير تقريـر التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٩ إلـى أن معـدل الإصـابة بمـرض الملاريا في البلدان العربية (٣٣١٣) حالة من كل مائـة ألـف نـسمة ، معظمها في السودان بنسبة (٧٦٪) ، والحالات الأخـرى فـي جيبـوتي والصومال واليمن. تهدف منظمة الصحة العالمية إلـى خفـض وفيـات الملاريا في العالم بنسبة (٥٠٪) خلال الفترة (٢٠٠٠ – ٢٠١٠) ، وبنسبة (٧٥٪) خلال الفترة (٢٠٠٥ – ٢٠١٥) .

يقدر عدد المصابين بمرض الايدز في العـالم نحـو (٣٣) مليـون مصاب ، نصفهم من النساء وبلغ عددهم في البلدان العربيـة فـي العـام ٢٠٠٧ نحو (٤٣٥٠٠٠) مصاب ، (٧٣٪) منهم في السودان ، وتوفى أكثر من (٣١٦٠٠) مصاب ، (٨٠٪) منهم في السودان .

تشير بعض التقديرات إلى وفاة نحو أربعة آلاف طفل فـي الأسـابيع الأربعة الأولى من الولادة ، وهو أمر يتطلب تحسين صحة الأم في أثنـاء الحمل بتوفير التغذية الصحية المناسبة ، وتحسين صحة الأم والطفل عنـد الولادة وبعدها. يقدر عدد الأطفال الذين يموتون أثناء الولادة فـي الـدول الأفريقية ودول جنوبي آسيا نحو (٤,٤٪) من إجمالي عدد الولادات ، بلغ معدل عدد وفيات الأطفال الرضع في البلدان العربية عام ٢٠٠٥ ، نحـو (١٠) وفيات من كل (١٠٠٠) ولادة في دول مجلس التعاون الخليجية ، في

حين يرتفع عددها إلى (٩٠) وفاة في جيبوتي ، و(٧٨) وفاة في كل من اليمن وموريتانيا ، وتتفاوت المعدلات بين هذه الأعداد في الدول العربية الأخرى .

ويعزى السبب في معظم الوفيات إلى الإسهال الحاد. وبفضل اللقاحات الناجحة فقد تم الحد من وفيات الأطفال الناجمة من أمراض الحصبة والملاريا في الكثير من الدول ، إذ تم تخفيض وفيات الحصبة في الدول الأفريقية بنسبة (٩٣٪) خلال السنوات (٢٠٠١ – ٢٠٠٨).

يشير أحد تقارير الأمم المتحدة الصادر عام ٢٠٠٩ إلى انخفاض عدد وفيات الأطفال تحت سن الخامسة من العمر في العالم من (١٢,٦) مليون طفل عام ١٩٩٠ إلى (٩) ملايين طفل عام ٢٠٠٧ ، إلا أن معدل وفيات الأطفال في الدول النامية ما زال عاليا جدا مقارنة بالدول المتقدمة بمعدل (١٣) مرة أكثر من معدلها في الدول المتقدمة . وتعد دول مجلس التعاون الخليجية الأفضل بين الدول العربية في هذا المجال ، إذ يلغ معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة لديها عام ٢٠٠٥ نحو (١٠) وفيات لكل ألف طفل ، وسجلت جيبوتي وموريتانيا أعلى معدل (١٣٠) وفاة ، واليمن (١٠٠) وفاة ، وتتفاوت الأعداد بين هذه الحدود في الدول العربية الأخرى.

يعاني الكثير من الأطفال دون سن الخامسة من سوء التغذية ، الأمر الذي ينجم عنه نقص حاد بأوزانهم ، إذ بلغت نسبتهم خلال السنوات (١٩٩٦ – ٢٠٠٥) نحو (٤٠٪) في اليمن والسودان و(٢٦٪) في الصومال ، و(١٤٪) في الإمارات العربية و(١٠٪) في الكويت على الرغم من الوفرة المالية لدى هذه الدول.

انخفضت نسبة وفيات الأمهات عام ٢٠٠٠ بنسبة (١٧) حالة من كل مائة ألف مولود في دول مجلس التعاون الخليجية مقارنة بما عليه الحال عام ١٩٩٠، في حين انخفضت في الدول العربية الأخرى بنسبة (٣٧,٩٪) لتصل إلى (٦٣٧٦) حالة من كل مائة ألف مولود حي ، وهي أعلى من نسبتها في الدول النامية التي تبلغ (٤٥٠) حالة.

بلغت نسبة وفيات الأمهات في أثناء الولادة عام ٢٠٠٤ نحو (٤) وفيات لكل (١٠٠) ألف ولادة حية في الكويت وبضعة حالات بدول مجلس التعاون الخليجية ، في حين تصل إلى أكثر من (٤٠٠) حالة في كل من جيبوتي والسودان والصومال وموريتانيا واليمن.

حققت معظم البلدان العربية تقدما جيدا في مجال الرعاية الصحية ، بفضل زيادة نفقاتها الصحية التي تبلغ في المعدل (٢,٤ – ٦٪) من الناتج المحلي الإجمالي ، وتصل في بعض البلدان إلى (١٢٪) في لبنان ، و(١٠٪) في الأردن. مما أسهم في ارتفاع متوسط أعمار الناس وانخفاض معدلات وفيات الأطفال الرضع. يشير تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٩ إلى زيادة العمر المتوقع للإنسان العربي من نحو (٤٦) سنة عام ١٩٦٠ إلى نحو (٦٨) سنة عام ٢٠٠٥ ، وانخفاض معدلات وفيات الأطفال الرضع من نحو (١٥٦) وفاة عام ١٩٦٠إلى نحو (٤٠) وفاة عام ٢٠٠٥ لكل ألف ولادة حية. يقدر العمر المتوقع للإنسان العربي حاليا عند الولادة نحو (٧٠) سنة في معظم الدول العربية ، ولا يزيد على (٦٠) سنة في كل من جيبوتي والسودان والصومال والعراق ، في حين يتجاوز (٧٤) سنة في كل من الإمارات والبحرين وعمان وقطر والكويت.

وخلاصة القول أنه لا يمكن تحقيق تنمية صحيحة بدون بناء إنسان معافى جسديا وعقليا ، كي يكون قادرا على الإسهام ببناء بلاده ونهضتها ورقيها بفاعلية وكفاءة عالية ، وهذا يتطلب نشر الوعي الصحي بين فئات المجتمع المختلفة عامة والنساء خاصة ، وتوفير الخدمات الصحية المناسبة لاسيما في المناطق الريفية والمناطق النائية ، وتأمين التخصيصات المالية التي يحتاجها القطاع الصحي .

تنمية المرأة

ازداد في العقود الأخيرة وعي الأمم والشعوب المختلفة بأهمية مشاركة المرأة الفاعلة في التنمية المستدامة لضمان رقي بلدانها وتقدمها في مجالات الحياة المختلفة ، إذ لم يعد مقبولا إنسانيا واقتصاديا إبقاء أكثر من نصف قدرات مجتمعاتها وطاقاتها ، المتمثلة بالنساء معطلة ، أو هامشية في أحسن الأحوال . كما لم تعد مفاهيم العلوم والتقنية على أنها التعامل مع آلات ومعدات ومنظومات معقدة كما قد يتصور بعضهم ، تتطلب جهدا جسديا ، بل بات الكثير منها عبارة عن منظومات دقيقة تتطلب جهدا فكريا قادرا على الإبداع والابتكار في المقام الأول. وحيث أن التنمية الصحيحة تتطلب توظيف جميع الموارد البشرية ، وتأهيلها تأهيلا علميا وتقنيا مناسبا ، لذا أصبح لزاما على الحكومات العربية فتح آفاق العلوم الرحبة أمام الرجال والنساء على الحد السواء من دون أي تمييز في جميع المجالات العلمية والتقنية.

ولا يمكن تحقيق أية تنمية ، ما لم يصبح التعليم بأنواعه وأشكاله حقا متاحا للجميع ، وليس امتيازا لبعض القادرين على تحمل نفقاته ، وهذا ما

شهدته الكثير من الدول التي حققت نجاحات تنموية باهرة ، بعد أن أصبح التعليم في بلدانها بمراحله المختلفة متاحا وميسرا للنساء والرجال ، وبذلك يلاحظ ازدياد عدد النساء الملتحقات بالمؤسسات التعليمية عامة ومؤسسات التعليم العالي في التخصصات العلمية والتقنية خاصة ، بعد أن تنامى الوعي بأهمية هذه التخصصات في الحياة المعاصرة التي أصبحت العلوم أبرز سماتها ، والتقنية أبرز مرتكزاتها .

تشير إحصاءات المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) لعام ٢٠٠٩ إلى أن عدد النساء اللاتي يتخرجن سنويا من الجامعات الأوربية مثلا ما نسبته (٤٠٪) من إجمالي عدد الخريجين في جميع التخصصات العلمية والتقنية وتصل النسبة في بعض البلدان إلى أكثر من (٥٠٪) كما هو الحال في اليابان وكندا والولايات المتحدة الأمريكية ، ولا تقل عن (٣٣٪) في الكثير من الدول الآسيوية والأفريقية ، وتصل إلى نسبة (٤٠٪) في كوريا الجنوبية.

كما تشير الإحصاءات إلى أن نسب النساء الحاصلات على شهادة الدكتوراه في دول الإتحاد الأوربي بلغت (٥١٪) في العلوم الصحية ، و(٥٠٪) في العلوم الزراعية والبيطرية ، و(٤٠٪) في العلوم ، و(٢٢٪) في الهندسة من إجمالي عدد الحاصلين على شهادة الدكتوراه عام ٢٠٠٣. وبلغت هذه النسب في الولايات المتحدة الأمريكية (٦٩٪) في العلوم الصحية ، و(٣٧٪) في العلوم الزراعية والبيطرية ، و(٣٦٪) في العلوم ، و(١٨٪) في الهندسة ، وفي اليابان (٢٦٪) في العلوم الصحية ، و(٢٥٪) في العلوم الزراعية والبيطرية ، و(٩٪) في الهندسة.

وقد حقق الكثير من النساء نجاحات بارزة في معترك الحياة ، على الرغم من الكثير من المعوقات التي اعترضت مسيرتهن في العمل ، إذ تبوأ الكثير منهن مواقع علمية قيادية في الكثير من الدول في الوقت الحاضر بفضل مثابرتهن وتميزهن بوظائفهن ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلا يبلغ عدد النساء الحاصلات على درجة الأستاذية في الجامعات الأمريكية قرابة (٢٠٪) من مجموع حاملي درجة الأستاذية ، ونسبة (٢٠) من شاغلي رئاسات الكليات والجامعات. وفي دول الإتحاد الأوربي بلغ عدد النساء الجامعيات في مؤسسات التعليم العالي ما نسبته (٣٦٪) من إجمالي عدد الجامعيين ، منهن (٤٠٪) في العلوم الطبية ، و(٤٠٪) في العلوم الزراعية والبيطرية ، و(٢٩٪) في علوم الحياة ، و(٢١٪) في الهندسة والتقنية.

وفي مجالات البحث العلمي تشير الإحصاءات إلى أن عدد الباحثات العلميات يبلغ حاليا في العالم قرابة (٢٧٪) من إجمالي عدد الباحثين. تتفاوت هذه النسبة بين منطقة وأخرى ، ففي دول أمريكا اللاتينية تصل النسبة إلى (٤٦٪) ، في حين تصل في آسيا إلى (١٥٪) ، وتصل في دول أوربا الشرقية إلى (٤٢٪) ، وتنخفض في دول أوربا الغربية إلى (٢٧٪).

وعلى صعيد الدول تصل النسبة في مانيمار إلى (٨٥٪) وهي أعلى نسبة في العالم ، وتصل في الفلبين إلى (٥٥٪). وتنخفض في اليابان إلى (١٢٪) ، وتبلغ (٥٠٪) في بلغاريا ودول أخرى ، وتقدر النسبة في البلاد العربية بحدود (١٠٪). وهذه النسب آخذة بالتحسن عاما بعد آخر بعد أن أدرك الكثير من الحكومات أهمية دور المرأة المتعلمة في التنمية الشاملة بعامة ودور المرأة في المجالات العلمية والتقنية خاصة.

وخلاصة القول أن جهودا حثيثة يجب أن تبذل في جميـــع الاتجاهــات لتوفير فرص عمل حقيقية للنساء في المجالات العلمية والتقنية وفــتح آفــاق الرقي والتقدم أمامهن للإفادة من كامل طاقاتهن لأغراض التنمية الــشاملة ، وأن يكون تعليمهن مرتبطا ارتباطا وثيقا بحاجات مجتمعاتهن.

الخاتمـــة

تؤكد مفاهيم التنمية البشرية المستدامة أن الإنسان غاية التنمية ووسيلتها حاضرا ومستقبلا ، الأمر الذي يعني ضرورة العمل الجاد على تلبية حاجاته التعليمية والصحية والمعيشية والبيئية ، وضمان أمنه واستقراره ، وصـــيانة حريته وكرامته عبر توزيع عادل للثروات ، وتنمية قدراته وخلق فرص عمل مناسبة لتحقيق أهداف عملية التنمية البشرية المستدامة المنشودة لمصلحة رقي بلاده وتقدمها .

المراجع العلمية

١ . أهداف الألفية الثالثة للتنمية

الجمعية العامة للأمم المتحدة / ٢٠٠٠.

٢ . تقرير منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة لعام ٢٠٠٨.

٣ . تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٨.

٤. تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٩.

٥ . برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨ .

٦ . الإحصاءات الثقافية لعام ٢٠٠٩

منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) .

تقنيات المعلومات والمجتمع

الدكتورة لمياء حسين مولى

وصال صبحيِ عبد الغفور

الملخص :

شمل البحث ثلاثة مباحث رئيسة المبحث الاول ينـاقش مفهـوم تقنيات المعلومات ومجتمع المعلومات ويشير الى اهمية المعلومة بالنسبة للمجتمع ، ويسلط الضوء علـى المعـايير لقيـاس خـصائص مجتمـع المعلومات . وأشار البحث الى فوائد وسلبيات تقنيات المعلومات .

شمل المبحث الثاني تأثير تقنيات المعلومات على مجتمع المكتبـات بأعتبارها مصدرا للمعلومات .

اما المبحث الثالث فحاول البحث ايضاح تأثير تقنيات المعلومـات على المعالجة الفنية لأوعية المعلومات والواقع العربي لتقنيات المعلومات . استخدم البحث المنهج المسحي الوثائقي واعتمـدت الكتـب والـدوريات كأدوات لجمع البيانات .

المقدمـــة :

تدور حركة التطور البشري العالمية اليوم بكل إبعادهـا ومحاورهـا الاقتصادية والعلمية والثقافية والاجتماعية في إطار تقنيات المعلومـات ، وارتباطها بتطور الاتصالات وعلوم الإدارة العلمية الحديثة ، وهو محور شامل غير طبيعة العلاقات الاقتصادية والبشرية والثقافية والعلمية وجعلها

تدور في آلية وتغيير متسارع ، وطرح تحديات كبيرة لكل المجتمعات للانتقال بقوة ونجاح إلى معطيات القرن الحالي .

وفي خضم هذه التحديات تفرض اليوم على كل المجتمعات والدول إعادة تحديث تقني وأداري شامل ، لبناء المجتمع ومؤسساته الاقتصادية والعلمية والثقافية بأسس تصلح لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين ، ولأن التحدي ليس ، في إنتاج المعلومة أو الحصول عليها بل في استغلالها لخدمة أهداف التنمية والتطوير من خلال وضع آليات وإدارة انسيابها لتتلاءم مع خصوصيتنا الثقافية وتسمح لنا للتحول اللازم نحو الحصول على متطلبات التعايش في زمن المنافسة العالمية وتوفر لنا إمكانيات مواكبة التطور والحضارة العالمية بهدف توطين التقانة في مجتمعنا ونجعلها أداة في تطورنا الحضاري والثقافي والاقتصادي ، وهذا يتطلب منا التخطيط وبناء الاستراتيجيات الصحيحة لعصر تقنيات المعلومات والاندماج العلمي للانتقال من مرحلة التفاعل إلى مرحلة الفاعلية والعطاء بعد التخلص من رواسب التخلف والجمود .

المبحث الأول

ماهية تقنيات المعلومات

١-١ نبذة تاريخية لتقنيات المعلومات

كانت الاستخدامات الأولى لتقنيات المعلومات في الستينيات التي ارتبطت بإنشاء قواعد البيانات الببليوغرافية كفهارس المكتبات التي أدت إلى تطوير إجراءات الفهرسة المقروء آليا . وخلال السبعينيات من القرن العشرين ، أصبح متوافر إلى حد كبير مدى واسع من الخدمات على الخط

المباشر وبالتقدم السريع لتطور الحاسبات الصغيرة أو الحاسبات الشخصية ذات التكلفة الأقل خلال الثمانينات من القرن الماضي ، أصبحت آلية الاستخدام الآلي في المكتبات مصممة بصفة حقيقة في كل نوع وفي كل إحجامها الكبيرة والمتوسطة والصغيرة على حد سواء .

وفي نطاق تطور تقنيات المعلومات في الثمانينيات من القرن العشرين ، انه كان من الضروري تبرير أي رأي أو مقترح لإدخال الحاسبات الآلية والإجابة عن السؤال الآتي : لماذا يستخدم الحاسوب ؟

وفي بداية التسعينيات أي أواخر القرن العشرين ، نجد ان مجتمعات المعلومات المتقدمة تنتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى مثل مشروع دنمارك رقمية .الانتقال من مجتمع المعلومات إلى مجتمع شبكات الحاسوب والمعلومات التي تتيح وصول مباشرا إلى كل مصادر المعلومات المتاحة على المستوى المحلي أو على النطاق الإقليمي والعالمي.[١]

إما في الوقت الحاضر، حيث نعمل في بيئة مناخ مختلف يتمركز حول استخدام تقنيات المعلومات في المجتمع ، الذي يؤدي إلى تقديم خدمات بشكل أفضل وتكلفة اقل وقد صارت هذه النظم الحديثة المبنية على تقنيات المعلومات المتقدمة على معالجة المعلومات المرتبطة بمورد المعلومات الاستراتيجية ، والتي تتسم بما يأتي :

- ارتكاز على المظهر الخارجي على خدمة المستفيدين
- واقعية تقديم الفائدة المرجوة للمستفيدين .

---

[١] محمد محمد الهادي . تقنيات المعلومات والاتصالات . القاهره : المكتبة الجامعية ، ٢٠٠٤ ص ٢٦ .

١-٢- مفهوم مجتمع المعلومات وتقنيات المعلومات

ان مصطلح مجتمع المعلومات قد بدأ بالظهور في الدراسة النظرية خلال الثمانينيات من القرن العشرين ، كمفهوم جديد للدلالة على وضع المجتمع في العصر الجديد عصر المعلومات الذي ظهر نتيجة لتأثير التغييرات السريعة لثورة تقنيات المعلومات .

يعني مفهوم مجتمع المعلومات في نظر خبراء علم المعلومات وتقنيات المعلومات بأنها المجتمع الذي تكون فيه الاتصالات العالمية متوفرة ، وتنتج المعلومات على مدى وبمعدل كبير جدا ، وتوزع بشكل واسع ، وتصبح المعلومات قوة دافعة ومسيطرة على الاقتصاد .[٢]

فمجتمع المعلومات ليس مجرد مصطلح يستخدم لوصف تأثير تقنيات المعلومات والاتصالات فحسب وإنما هو أكثر من هذا ، انه يمكن ان يكون مجموعة من المتطورات او وجهات النظر التي ترسم أو تحدد التغييرات الحديثة في المجتمع .

وفي تعريف أخر لمجتمع المعلومات بأنه [٣] مجتمع تتاح فيه الاتصالات العالمية وتنتج فيه المعلومات بكميات ضخمة ، كما توزع توزيعا واسعا وتصبح فيه المعلومات قوة لها تأثير في الاقتصاد ".

---

[٢] زكي الوردي ، ومجبل المالكي . المعلومات والمجتمع .- عمان : الوراق ، ٢٠٠٢ ، ص٢٨٢ .

[٣] محمد فتحي عبد الهادي . مجتمع المعلومات بين النظرية والتطبيق ، القاهره ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٨ . ص٢٧- ٢٨-٢٩

ويرى ربحي مصطفى عليان ان مجتمع المعلومات هو ذلك المجتمع الذي يتعامل أفراده ومؤسساته مع المعلومات بشكل عام وتقنيات المعلومات والاتصالات بشكل خاص في تسير أمور حياتهم في مختلف قطاعاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والصحية والسياسية .

وقد أكدت وثيقة (التزام تونس) الصادرة عن المرحلة الثانية للقمة العالمية لمجتمع المعلومات إذ جاء في البند (٢) من الوثيقة : تؤكد من جديد رغبتنا والتزامنا ببناء مجتمع المعلومات جامع وذي توجه تنموي ، ويضع البشر في صميم اهتمامه ، ويقوم على أساس أغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي والتعددية والاحترام الكامل والالتزام بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان حتى يتسنى للناس في كل مكان إنشاء المعلومات والمعارف والنفاذ إليها واستعمالها كي يحققوا إمكاناتهم بالكامل ، ويبلغوا الأهداف والمقاصد الإنمائية المتفق عليه دوليا بما في ذلك الأهداف الإنمائية للألفية .

وبناء على ما سبق فأنه يمكن تقديم التعريف مجتمع المعلومات بأنه (المجتمع الذي يعتمد اعتمادا أساسيا على المعلومات الوفيرة كمورد استثماري وكسلعة استتراتيجية وكخدمة وكمصدر للدخل القومي وكمجال للقوى العاملة مستغلا في ذلك كافة إمكانات تقنيات الاتصالات المتطورة .

إما تقنيات المعلومات فيمكن تعريفها بأنها العلم الجديد الذي يهتم بجمع وتخزين وبث مختلف أنواع المعلومات تقنيا .

وهنالك تعريف ثان لها بأنها خليط من أجهزة الحواسيب الالكترونية ووسائل الاتصال المختلفة مثل الألياف الضوئية والأقمار الصناعية وكذلك تقنيات المايكروفلم والمايكروفيش والمجموعات الاخرى من الاختراعات والوسائل التي يستخدمها الإنسان في السيطرة على المعلومات واستثمارها في المجالات الحياتية المختلفة.(٤)

١-٣- ما أهمية المعلومة للمجتمع

إن التقنية والتقدم العملي اليوم عصب تطور البشرية ورقيها وتوسع إمكانياتها وطاقاتها ، ولقد انعكست مختلف النتاجات التقنية والعالمية السريعة على المجتمع العالمي ككل ، كعامل أساسي في حركة البشر خلال القرن الحالي ، وأصبح الإنسان يعيش على أوتار حركة هذا التقدم وتقنياته وأنغامه المتواترة .

ان العامل الأساسي وراء عمق هذا التأثير ، هو هذا التطور المذهل في طبيعة الاتصالات والمواصلات ، وحتى غدا العالم أجمع بلدا أو مدينة صغيرة ليس فيها بعيد ، بمفهوم يدعى بالعالمية أو العولمة التي تعني زوال الحواجز والحدود الثقافية والاقتصادية بين الشعوب ، كما تعني سهولة التواصل الإنساني وسرعته ، بحيث أصبح العالم اجمع يتفاعل مع الحضارة ككل ، الإنسان فيها فاعل ومتفاعل حسب طاقته وإمكانياته وتقنياته ينهل من عوامل التأثير المتشابكة ، بشكل يدخل في كل

---

(٤) عامر إبراهيم قنديلجي ، ايمان فاضل السامرائي . تقنيات المعلومات وتطبيقاتها .- عمان : الوراق للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٨ .

خصوصيته أو شخصية ليتفاعل الجميع في نسيج الحضارة العالمي الأوحد ، كل يعالج التقنيات حسب تطور مجتمعه وبنيته الإدارية والتنموية .[٥]

المعلومة في عصر المعلومات اتخذت أهمية مطلقة من خلال عدة عوامل من أهمها :-

أ-الفيض الهائل في البيانات والمعلومات في الإدارة والعلوم والاقتصاد .

ب-تنوع مناحي الحياة وتشابكها وتعقد علاقاتها ووعي البشر الحضاري ، وضرورة تجسيد هذه المفاهيم والعلاقات بتوثيق بشري وديناميكي .

ج- التطور في مستوى الحياة والحضارة يخلق فرصه ويفرض الاهتمام والزمن الفائض للبحث والدراسة العلمية والفنية والتقنية وغيرها .

هذه العوامل الحضارية لأهمية المعلومات وتقنيات إدارتها ، هي التي هيأت لهذا العصر نجاحه وضرورته .

ولا ننسى أهمية الاتصالات في تطور مفهوم المعلومة وتناقلها الذي يلغي حدود قدرة البشر العادية في تناقل المعلومات وإيصالها عبر المسافات ، كل هذه العوامل كان لها الأساس في بناء المعلومات والاتصالات المتسارع والمتطور والمتغير .

---

[٥] هاني شحاذ الخوري . تقنيات المعلومات على اعقاب القرن الحادي والعشرين . دمشق : مركز الرضا للكومبيوتر ، ١٩٩٨ . ص ١٣ .

١ – ٤ – خصائص مجتمع المعلومات

لكل نمط من المجتمعات خصائص الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي تميزه عن غيره من المجتمعات ، ولمجتمع المعلومات خصائصه .

وتمثل خصائص مجتمع المعلومات معايير أو قياسات يمكن من خلالها التنبؤ بدخول المجتمع او تحوله ، أو تطوره إلى مجتمع المعلومات .

وقد حدده خمسة معايير لمجتمع المعلومات على النحو الأتي:[٦]

أولا : المعيار التقني : ويمثل الاعتماد المتزايد على تقنيات المعلومات كمصدر للعمل والثروة والبنية التحتية .

ثانيا: المعيار الاجتماعي : حيث ابرز أهمية المعلومات في تحسين شروط الحياة ، وينشر استخدام الحاسوب والاستفادة من المعلومات وتوظيفها في شتى النشاطات الإنسانية ،وتلعب المعلومات دورا مهما في التنمية البشرية الشاملة (التعليم ، الصحة ، الخ).

ثالثا: المعيار الاقتصادي : ويركز على دور المعلومات في الاقتصاد بحيث يصبح اقتصاد معلومات ، وتزداد التجارة الالكترونية كمؤشر على ذلك ، وتصبح المعلومات مصدر ثروة وسلعة ومصدر اقتصاد مهم .

رابعا : المعيار السياسي : ويركز على زيادة وعي الناس بأهمية المعلومات في اتخاذ القرارات ، ومشاركتهم في صنع القرار السياسي واستخدام

---

[٦] ربحي مصطفى عليان . مجتمع المعلومات والواقع العربي . مجلة رسالة المكتبة ، مج٣٩ ، ع٢٠ ، ٢٠٠٤ ، ص١٧ .

المعلومات في الاقتراع ، والتصويت ، وتكون جماعات الضغط وجماعات النقاش التي تتجاوز الحدود الوطنية .

خامسا : المعيار الثقافي ، ويركز على نظام قيم للمعلومات ويؤكد القيم الثقافية الداعمة للمعلومات (احترام الرأي واحترام حقوق الآخرين واحترام الملكية الفكرية) .

١-٥- أسس تقنيات المعلومات

الأساس الأكثر أهمية تقنيات المعلومات يصف غرض تقنيات المعلومات هو لحل مشاكل وفسح المجال إمام الإبداع ، وان يجعل الناس مؤثرين أكثر مما لو لم يستخدموا تقنيات المعلومات في أوجه نشاطهم .

أساس تقنيات المعلومات الاخرى الذي لا يقل أهمية هو أساس (تقنية متقدمة – شعور متقدم) وهو يعني كلما اعتبرنا التقنية المتقدمة مثل تقنيات المعلومات أكثر أهمية كلما زادت أهمية اعتبار جانب الشعور المتقدم والذي هو جانب الإفراد ، والأساس الأخر هو انه يتوجب علينا دائما ان تكيف تقنيات المعلومات إلى الناس بدلا من الطلب من الناس ان يتكيفوا مع تقنيات المعلومات . [٧]

١-٥- وظائف تقنيات المعلومات

تؤدي تقنيات المعلومات عدد من الوظائف الأساسية التي تتعلق بإدارة المعلومات منها :- [٨]

---

[٧] عماد عبد الوهاب الصباغ . علم المعلومات . عمان ، ٢٠٠٢ . ص ١٧٧ .

[٨] مجتمع المعلومات بين النظرية والتطبيق . مصدر سابق ، ص ٤٣ .

أولا – الأستحصال : يكون من المفيد دائما تجميع سجلات بالفعاليات والنشاطات . وهذه العملية واستحصال البيانات تنجز حين يتوقع مستخدم تقنيات المعلومات . ان البيانات ستكون مفيدة في وقت لاحق .

ثانيا- معالجة النصوص : صياغة وثائق نصية مثل التقارير ، نشرات الإخبارية وتعمل نظم معالجة النصوص على مساعدتنا في إدخال البيانات والنصوص والأشكال ، وعرضها بصورة جذابة .

ثالثا – الخلق : تستخدم تقنيات المعلومات بصورة دائمة لخلق معلومات من خلال المعالجة وخلق المعلومات يعني تنظيم البيانات والمعلومات في هيئة مفيدة أكثر ، سواء على شكل أرقام أو نصوص أو إشكال مرئية .

رابعا- الخزن والاسترجاع : من خلال حزن المعلومات يحافظ الحاسوب على البيانات والمعلومات من اجل استخدام مستقبلي . البيانات والمعلومات المخزونة يحفظ علي وسائط الخزن مثلا (قرص مغناطيسي ، وقرص بصري) التي يستطيع الحاسوب على قراءتها . ويقوم الحاسوب بتحويل البيانات أو المعلومات إلى صيغة تأخذ حيزا أقل من مصدرها الأصلي .

خامسا- النقل : ويعني إرسال البيانات والمعلومات من موقع إلى أخر ، فشبكات الحاسوب يستطيع إرسال بيانات ومعلومات من خلال أوساط أخرى كالأقمار الصناعية والأليف البصرية . ويمكن ربط

حواسيب مع بعض الكترونيا . ويستطيع الإفراد إرسال البيانات والمعلومات فيما بينهم عبر شبكات الاتصالات لتتجاوز المسافات والحدود وهي الشبكة العالمية التي تعرف بشبكة المعلومات (الانترنيت) .

١-٦- فوائد تقنيات المعلومات

تستخدم تقنيات المعلومات من قبل المجتمع في حياتهم العامة والعملية من خلال الفوائد الرئيسة التي يوفرها للمجتمع وهي كالأتي:-[٩]

أ-السرعة :- في خزن البيانات والمعلومات واسترجاعها .

ب-الثبات :- يتميز الحاسوب بقدرته على تكرار العمل بصورة ثابتة .

ج- الدقة :- فأن الحواسيب دقيقة جدا فهي تستطيع تأشير أدق الاختلافات التي يعجز البشر عن رؤيتها.

د- الموثوقية :- التي تعني انك تستطيع الاعتماد على ان الحاسوب وشبكة الاتصالات ستكون جاهزة للعمل والأداء بالشكل المطلوب عندما تحتاج إليها ، بغض النظر عن ظروف وطبيعة الاستخدام .

١-٧- سلبيات تقنيات المعلومات

ان استخدام أية تقنيات لا تخلو من بعض السلبيات مهما كانت الايجابيات وبالرغم من عرض كثير من الجوانب الايجابية لاستخدام تقنية

---

[٩] نجيب الشربجي . اثر تقنية المعلومات على المكتبات ومراكز المعلومات والتوثيق ، رسالة المكتبة ، مج٢٢ ، ع٤ ، ١٩٨٧ ، ص٤٠.

الحديثة في مجال المكتبات والمعلومات . إلا ان هناك بعض السلبيات ولعل من أبرزها : [١٠]

١- ان تتابع ظهور تقنيات جديدة بسرعة كبيرة ، تلك التي تشارك التقنيات السابقة ، أو التي تحل محلها ، أدى إلى الإرباك في المكتبات ومراكز المعلومات ، فبقدر الانبهار بالتقنيات والتوجه والرغبة في التغيير والتطوير ، بقدر الخسارة في النظم الموجودة ، أي الاستغناء عن بعض الأجهزة والوسائل ... وغيرها ، وما يسببه ذلك من خسائر مادية للمكتبات ومراكز المعلومات .

٢- أدت السوق الرائجة للتقنيات الحديثة إلى دخول كثير من المؤسسات في عمل قواعد البيانات ، وفي إنتاج الأدوات الفنية المساعدة للعمل والنظم والبرامج ، مما صعب على المكتبات ومراكز المعلومات فرص الاختيار لأفضل وارخص هذه المنتجات ، وذلك لان هذه المؤسسات تحاول إبراز الايجابيات فقط ، كما ان هناك ندرة أو حتى سرية في المعلومات المتعلقة ببعض الجوانب ، وفي هذه الحالة يصبح اتخاذ القرار صعبا أو غير موفقا .

٣- ان استخدام التقنيات الحديثة يؤثر بالسلب على بعض العاملين بل على المستفيدين ، من خدمات المكتبات ومراكز المعلومات ، وقد أدى ذلك على سبيل المثال ، إلى عدم احترام أو تقدير الجيل الجديد وأدى ذلك إلى تذبذب في موقف الإدارة العليا في المؤسسة التي تتبعها المكتبة .

---

[١٠] - محمد تيسير درويش . استخدام الحاسوب في المكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات . رسالة المكتبة ، مج ٢٢ ، ع٤ ، ١٩٨٧. ص ٣٩ .

ان هذه السلبيات يمكن ان تزول تدريجيا وذلك من خلال التدريب المستمر في إثناء الخدمة وإلقاء المحاضرات النظرية والتطبيقية وكذلك المشاركة في الندوات والمؤتمرات بهذا المجال ، وفي هذه الحالة يمكن التغلب على كل السلبيات التي قد تقف عائقا إمام تطوير وتحسين مستوى العاملين بالمكتبات .

المبحث الثاني : تأثير تقنيات المعلومات على مجتمع المكتبات

٢-١- المكتبات كمصدر معلومات

ظلت المكتبات منذ اختراع الكتب حتى وصول شبكة المعلومات (الانترنيت) واحدا من أهم ثلاثة مصادر للمعلومات ، إما المصدران الآخران فهما البحث الشخصي ، والأشخاص الذين نعرفهم . إما في هذه الأيام فقد بدأت الأمور تتغير ، وقد يلجأ إلى محطة طرفية أو شبكة معينة إلى جعل هذا المصدر مصدرا أساسيا . أما الذين لا يملكون قدرة الوصول إلى هذا المصدر فتتوافر لهم أجهزة الحاسوب الشخصية في المكتبات لقراءة الأقراص البصرية وللوصول إلى شبكة المعلومات (الانترنيت) .

ومع ذلك فلا يزال هنالك قدر كبير من المعلومات المطبوعة يحتم الحاجة إلى وجود مكتبات كوسيلة رئيسة لسنوات كثيرة قادمة . وهكذا إذا لم تكن الشبكة قادرة على توفير الإجابة أو لم تكن توفر إلا جزءً منها ، فأن الوصول إلى مواد المكتبة بطابعها التقليدي الأكبر سيكون هو الخطوة التالية . وقد تضم المؤسسات الكبرى مكتبات خاصة بها ، في ظل وجود ترتيبات لاستعارة أي إصدارات ضرورية من إحدى المكتبات ، تكون في الأغلب مركز إمداد الوثائق التابعة للمكتبة

البريطانية . وفي بعض الحالات الاخري يستطيع الباحث عن المعلومات ان يذهب بنفسه إلى إحدى المكتبات العامة والجامعية والمتخصصة والمنتشرة على نطاق واسع .[11]

ان دور المكتبة العامة هو تقديم مصادر المعلومات والمواد الاخرى المناسبة مثل الموسيقى المسجلة أو أشرطة الفيديو ، لغرض الترفيه أو التعليم أو توفير المعلومات . ويتشكل جزء كبير من مخزون دائم من كتب أدب الخيال ، سواء منها الإعمال الأدبية الكلاسيكية ، ولكن من النادر ان تشكل هذه الروايات الجزء الأكبر من المكتبة . وعادة ما يكون الجزء الأكبر من كتب التخصصات العلمية وفروع العلوم ، وهناك دائما مجموعة مراجع تتكون من القواميس والموسوعات والأدلة ذات الاهتمام المحلي والميزة للمكتبات أنها تخزن المعلومات بطريقة تجعل عملية العثور على المطلوب أمرا ميسورا ولا سيما في ظل أدوات البحث الإضافية . وقد يجعل ترتيب الرفوف عملية البحث في الكتب عن موضوعات مترابطة عن مجلدات الدوريات أمرا ممكنا ، وقد لا تكون المواد الأخرى سهلة البحث ، غير ان الوصول المباشر إلى الرفوف يمكن ان يوفر الوقت . ولكل مكتبة طريقتها في ترتيب المواد بطريقة تناسب المستفيدين .[12]

---

[11] مايكل هيل . أثر المعلومات في المجتمع : دراسة لطبيعتها وقيمتها واستعمالها . مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ٢٠٠٤ . ص ٦٥ .

[12] نفس المصدر . ص١٣٦ .

٢-٢ - تأثير تقنيات المعلومات على المكتبات

ان إدخال التقنيات إلى المكتبات ينبغي ان لا يقتصر على تحسين العمليات التي تقوم بها وزيادة فعاليتها من ناحية الدقة والسرعة ، بمعنى أخر ان الهدف لا ينبغي ان تكون التكاليف هي العنصر الغالب في دراسة لاقتصاديات المكننة ولكن الهدف ينبغي ان يتجاوز ذلك والتركيز على الخدمات الجديدة التي يمكن ان تقدمها التقنيات الحديثة ، فالتقنية عندما تدخل مجتمع المكتبات فأنها تساعد على نمو خدماتها ، ولكن هنالك مشاكل تواجه المكتبات في هذا الجانب منها :

أولا- التغييرات المستمرة في تقنيات الحاسوب ، وهذه التغييرات تتسم بسرعة بالغة ويقاس معدل التغيير عادة بحجم الذاكرة المركزية ، كما يقاس هذا المعدل بعدد العمليات الحسابية الأساسية التي يمكن القيام بها في الثانية الواحدة .

ثانيا - ان مختبرات الحاسوب تطور نفسها بين فترة وأخرى وهذا يؤدي بالمكتبة إلى تغير أجهزتها كل (٥-١٠) سنوات تقريبا ، كما ينبغي تغير أوعية الحفظ من البطاقات المثقوبة إلى الشرائط الممغنطة إلى الاسطوانات البصرية التي يتم التسجيل عليها بأشعة الليزر . وأخيرا فهنالك جانب المعايير التي يجب إتباعها على المستويين الوطني والدولي والمتعلقة بمكننة المكتبات خصوصا تلك المتصلة بتبادل التسجيلات الببليوغرافية على الشرائط أو الاسطوانات الممغنطة أو البصرية .

ان استخدام تقنيات المعلومات في المكتبات ، لم يحقق كل ما يهدف إليه ، وحتى ما تحقق من انجازات ايجابية في تطوير نظم المعلومات التي شملت المعالجة الفنية لأوعية المعلومات وغيرها ، وأدى ذلك ما أحدثته التقنيات من تأثيرات في المعالجة الفنية لأوعية المعلومات ، ويمكن إيجاز ذلك على النحو الآتي :[١٣]

١-العمل وأدواته :

من حيث توفير ضبط أفضل وكفاءة عالية في عمليات الفهرسة والإعارة ، فضلا عن إحداث تغيرات في أدوات العمل الموجودة ، وإيجاد أدوات عمل جديدة تمثلت بالأشرطة الممغنطة ، والأقراص المكتنزة ، وشبكة المعلومات (الانترنيت) ، وهذا أدى إلى ضرورة وجود قواعد جديدة لفهرستها .

٢- العاملون :

أدى استخدام تقنيات المعلومات في بعض المكتبات ، قد أثر بشكل ايجابي على العاملين فيها ، واحدث تغييرات واسعة في خدمات والتي أدت إلى تحسينها وتطويرها ، كما أدت تلك التغييرات إلى زيادة المسؤوليات الملقاة على عاتق العاملين فيها ، وإجراء بعض التغييرات في مواقع العمل ومسميات الوظائف ، فضلا عن التغيير الخاص في طبيعة عمل موظفي المكتبات ، فبعد ان كانوا يعدون مختلف الإجراءات المكتبية يدويا ، تغير العمل إلى ملء استمارات موحدة بالبيانات الخاصة بالمواد

---

[١٣] محمد فتحي عبد الهادي ، نبيلة خليفة جمعة ، يسرية زايد . اتجاهات حديثة في الفهرسة .- القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٧ . ص ٢٣ .

المستلمة لتهيئتها وإدخالها الحاسوب . أو ان يتم إدخال تلك البيانات للحاسوب مباشرة عن طريق لوحة المفاتيح ، وتظهر على شاشة العرض المرئي إشارة البحث في شكل ما ، وذلك يعتمد على نوع النظام المستخدم .[١٤]

٣- المستفيدون :

لقد أثرت الوسائل التقنية الحديثة المستخدمة في بعض المكتبات ومراكز المعلومات ، على المستفيدين واهتماماتهم وطبيعة سلوكهم في البحث عن المعلومات ، وظهرت مشاكل استعمال هذه الوسائل من المستفيد وصعوبة حصوله على المعلومات المطلوبة واسترجاعها . وهنا نؤكد ضرورة تدريب المستفيدين على مختلف الوسائل المستخدمة في المكتبات ، وتعريفهم بالنظم الجديدة المتبعة فيها.واستراتيجيات البحث والربط بين مصطلحات البحث ، حتى يمكن الاستفادة منها على أفضل نحو ممكن.[١٥]

فهذه المشاكل تحتم على مجتمع المكتبي ان يأخذها بنظر الاعتبار ولا سيما عندما تحاول تطبيق تقنيات المعلومات في مجتمع المكتبي للمساعدة في دعم البحوث العلمية ، ولا سيما ان التقدم يحدث إذ استطاع الجسد العلمي والإداري والاجتماعي للدولة ان يتقبل التقنيات الحديثة والاستفادة منها ليطور بها الخدمات بشكل عام .

---

[١٤] باسل محمد الراوي . تاثير الحوسبة على الاجراءات الفنية في المكتبات . مصدر سابق ، ص ٤٨ .

[١٥] نجيب الشربجي . مصدر سابق ، ص٤٥ .

٢-٣- الإخطار التي تجابه تقنيات المعلومات في المجتمع

هنالك أربعة أنواع من الإخطار تواجه المؤسسات والمنظمات المالكة لتقنيات المعلومات ومن أهمها :- [١٦]

١- الكوارث الطبيعية :

وتتمثل هذه الكوارث بالزلازل ، والأعاصير ، الفيضان ... الخ . وهذه الكوارث تؤدي في بعض الأحيان الى تدمر أبنية المنظمة بأكملها وبضمنها تقنيات المعلومات .

وقد تنبه المتخصصون إلى ضرورة الحفاظ على التقنيات وذلك بوضعها في أماكن حصينة قدر الإمكان ، وإبعادها عن المؤثرات الطبيعية المؤثرة .

٢- الإضرار غير المتعمدة :

وقد نطلق عليها تسمية التخريب غير المتعمد سببه الرئيس هو الإهمال . فقد حصلت حرائق متعددة بسبب التماس الكهربائي أو رمي أعقاب السجائر في غير الأماكن المخصصة لها .

٣- التخريب المعتمد :

ويشمل عمليات إشعال الحرائق بصورة معتمدة أو استخدام المواد المتفجرة لتدمير الأجهزة أو إدخال برامج حاسوبية تعمل على تدمير ما هو متوفر على ذاكرة الحاسوب وتعرف هذه البرامج بالفيروسات .

---

[١٦] محمد محمد الهادي . تقنيات المعلومات والاتصالات . مصدر سابق ، ص ٣٠ .

٤-جرائم الحاسوب :

فقد يكون المقصود بها محدود جدا ليشمل الجرائم التي تتعـرض لهـا أجهزة الحاسوب من سرقه وتخريب وغير ذلك أو يكون المعنى أوسع ليشمل جميع الجرائم التي يـستفيد فيهـا مرتكبوهـا مـن إمكانيـات الحاسوب لتنفيذها . ومن الأنواع الشائعة لهذه الجرائم الـسرقات مـن الحسابات المصرفية ، والتزوير ، وتغيير البيانات وغيـر مـن ذلـك الجرائم الخطرة .

المبحث الثالث

٣-١- تأثير تقنيات المعلومات على المعالجة الفنية لأوعية المعلومات

لقد احتلت تقنيات المعلومات في السنوات الأخيـرة مكانـا بـارزا وهاما في المكتبات ومراكز المعلومات بصورة عامة ، وفـي المعالجـة الفنية لأوعية المعلومات بصورة خاصة ، حيـث كانـت مـن العمليـات الأولـى المطلـوب حوسـبتها . وهـذا بـالطبع يـؤدي إلـى حـدوث مراجعـة وتعـديل للقواعـد المتبعـة فـي فهرسـة وتنظـيم أوعيـة المعلومـات لتـتلاءم مـع التطـورات الجاريـة . كمـا ان اسـتخدام التقنيـات أحـرز بعـض التـأثيرات علـى جوانـب مختلفـة فـي المؤسسات العلمية ، لعل من أهمهـا الخـدمات المقدمـة للمـستفيدين ، والتغلب على أعباء الأعمال الروتينية المتزايدة وكـذلك تأثيرهـا علـى العاملين في المؤسسات .

٣-٢- استخدام تقنيات المعلومات في المعالجة الفنية

نقصد بالمعالجة الفنية بأنها حلقة رئيسة من حلقات العمل في المكتبات ومراكز المعلومات وهي المسؤولة عن إعداد وإنتاج أدوات الاسترجاع للباحثين والدارسين [١٧] . أما عناصرها فهي :- [١٨]

١- الأنشطة أو العمليات مثل الفهرسة الوصفية والموضوعية والتصنيف والتكشيف والاستخلاص ... الخ .

٢- أدوات العمل وهي قواعد الفهرسة وقوائم رؤوس الموضوعات والمكانز ونظم التصنيف ، ومعايير ومواصفات إعداد الكشافات والمستخلصات .

٣- أدوات الاسترجاع وتتنوع ما بين الفهارس الببليوغرافيات والكشافات .

لقد ازداد استخدام الحواسيب في المكتبات ومراكز المعلومات في السنوات القليلة الماضية نتيجة لظهور عوامل متداخلة تمثلت بما يأتي :[١٩]

١- تغير المدى الزمني : لقد انخفض المدى الزمني لتجميع المعلومات من اجل اتخاذ القرارات والسيطرة على المعلومات .

٢- التغيير في كمية المعلومات المتاحة : فقد حدثت زيادة هائلة في مقدار المعلومات المتاحة للجميع والمنشور بإشكال مختلفة .

---

[١٧] محمد فتحي عبد الهادي ، نبيلة خليفة جمعة ، يسرية زايد . اتجاهات حديثة في الفهرسة .- القاهرة : مكتبة الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٧ ، ص ١٤٧ .

[١٨] نفس المصدر ، ص ١٥٠.

[١٩] باسل محمد الراوي ، زينب عبد الواحد ، لمى فاخر عبد الرزاق . تأثير الحوسبة على الاجراءات الفنية في المكتبات ومراكز المعلومات . المجلة العراقية للمكتبات والمعلومات ، مج٢ ، ع٢ (١٩٩٦) . ص ٣٨ .

٣-تغيير طبيعة الحاجة إلى المعلومات : لقد أدى التعقيد المتزايد لمشكلات المجتمع بدوره إلى الحاجة إلى المعلومات المرتبطة بالعديد من المجلات والمشتتة في أماكن متفرقة .

٤-التغيير في أهمية مصادر المعلومات : فقد أدى النشاط المتزايد للهيئات الصناعية والتعليمية والبحثية إلى التركيز المتزايد على المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات ، مما يؤدي إلى زيادة الحاجة إلى الوصول للمعلومات بسرعة .

٣-٣-أثر تقنيات الاتصال في المعلومات

يشعر كثير من الناس أننا نعيش في عصر الاتصالات وليس في عصر المعلومات ، فلدينا هذه الأيام تقنيات كثيرة للغاية تتيح لنا تناقل المعلومات ، ولكل منها مزيتها في مواقف معينة ولكل منها عيوبها في مواقف أخرى . لقد أدت التقنيات الجديدة إلى اتساع نطاق تناقل المعلومات من حيث التردد ومن حيث المسافات التي يمكننا فعل ذلك عبرها ، لقد أسهمت التقنيات في منح القدرة والإمكانات أكثر من إسهامها في فرض أشياء ، مع وجود بعض الاستثناءات ، فهناك عدد متزايد من الدوائر التي ترفض استقبال الخطابات بطريقة أخرى غير الفاكس أو البريد الالكتروني . كذلك ترفض المؤسسات التي لها أنظمة شبكة داخلية السماح لموظفيها بإرسال مذكرات ورقية .[٢٠]

ان كل تقنية جديدة قد أحدثت تغيرا على عملية الاتصال ، حيث أصبح أكثر اقتضابا . أدت خدمة التلغراف إلى توفير نطاق للاتصال

---

[٢٠] Warnock,M.imagination and Time.Oxford:BlackWell.1994.p170

السريع للرسائل الموجزة التي لم يكن الهاتف يصلح لها أو غير متوافر لنقلها . وتطورت وسائل الاتصال إلى عقد المؤتمرات الفيديو في بعض المؤسسات التي لديها مشاركون في أماكن شتى . ورغم اختراع الشريط الممغنط عام ١٩٤٢ فأن سبعينيات القرن العشرين ذاته كانت هي الفترة التي شاع فيها استخدام مسجلات الأشرطة الممغنطة .

للمذياع الأثر الكبير في الطريقة التي تنقل بها المعلومات ، وهو يشبه التلغراف والهاتف من حيث انه ينقل الرسائل بصورة شبه فورية ، ولذلك شاع امتلاك أجهزة الراديو ، وترسخت تقنية الإذاعة الخارجية .

وفي الوقت الحاضر تقنية شبكة المعلومات (الانترنيت) أصبحت الآن مركز الاهتمام العام فأن المؤسسات الدولية والمؤسسات التي لها العديد من المواقع تولي اهتماما مماثلا وأحيانا أكبر بالشبكات الداخلية.

٣-٤-- إدارة المعلومات

ظلت الأهمية القصوى التي تولي لإدارة مصادر المعلومات والمعرفة وخدماتها أمرا مقبولا عند كثير من الشركات المتقدمة والمنظمات والمؤسسات الاخري لسنوات عديدة ، باعتبارها جزءً من نشاط العمل . يرجع ذلك في المملكة المتحدة بدرجة ليست بسيطة إلى رابطة إدارة المعلومات التي نجحت منذ ستينات القرن الماضي في الترغيب في المكاسب التي يمكن ان تتحقق عن طريق زيادة فاعلية الإدارة واستغلال المعلومات ، إذ ظلت الرابطة تؤكد ان مجرد امتلاك مكتبة خاصة إنما هي خطوة أولى ، وانه يتعين على المؤسسات المتقدمة ان تقطع أشواطا أبعد

من ذلك بكثير لسد احتياجاتها المعلوماتية والقيام بأنشطة مرتبطة بالمعلومات والنظر إليها باعتبارها كلا واحدا .[٢١]

تتضمن عملية إدارة المعلومات المهام والمسؤوليات الجوهرية الآتية: -[٢٢]

١- ضمان تمكين كل عضو في المؤسسة من الوصول إلى المعلومات التي يحتاج إليها في الوقت الذي يريده .

٢- إقامة أنظمة لتخزين الوثائق والتقارير ، التي يتم ابتداعها بصورة داخلية ، وتنظيمها واسترجاعها .

٣- ترتيب عملية الوصول إلى المصادر المباشرة ومواقع الشبكة ومصادر الوثائق التقليدية .

٤- تخزين المعلومات مثل التقارير الفنية وتقارير المعلومات ، وقد يكون بعض التخزين في صور نسخ ورقية ، غير ان الجزء الأكبر من التخزين سيكون على نظام الحاسوب . ويتضمن التخزين وسائل استرجاع المادة عند طلبها .

٥- نشر المعلومات الجديدة لمن يحتاجون إلى الإلمام بها .

٦- ضمان تمكين أعضاء المؤسسة من سهولة التواصل ، بإنشاء شبكة داخلية مثلا ، وعن طريق شبكة المعلومات (الانترنيت) ، بشرط توفير مقومات أمن مناسبة لها .

٧- التخلص من المعلومات التي لم تعد مطلوبة أو تحديث المواد القائمة .

---

(٢١) Haines M.Library and information policy development in the NHS.London Bowker-Saur.1996.p177.

(٢٢) Enser,p.Informatiom management for an information Profession.p40

٨- توفير مصدر خبرة عن أوجه القصور والقيود والمتطلبات المرتبطة باستخدام المعلومات مثل تشريعات حماية البيانات وقوانين حقوق التأليف والطبع وغيرها ، ووضع هذه الخبرة في كل الدول التي تعمل فيها المؤسسة .

وتختلف طريقة تنفيذ هذه البنود من مؤسسة إلى أخرى ، وقد يتم تنسيقها في قسم واحد أو توزيعها بين قسمين أو ثلاثة . ويتم التعامل مع مظاهر الأجهزة والبرمجيات بصورة منفصلة عن مظاهر محتوى المعلومات.

٣-٥- الواقع العربي في مجال تقنيات المعلومات

ان العالم العربي لم يستعد بعد للدخول في مجتمع المعلومات على الرغم من انتشار تقنيات المعلومات والاتصالات وصناعة المعلومات في بعض الدول العربية ، إلا أنها ما زالت في مرحلة البداية . ويعود ذلك بشكل رئيس إلى ضعف الهياكل الأساسية لتقنيات المعلومات وشبكات الاتصالات وضعف القوى البشرية العاملة في هذه المجالات ، وغياب السياسات الوطنية للمعلومات . وحتى على المستوى العالمي فأن مجتمع المعلومات لم يتحقق بشكل كامل إلا في (١٢) بلدا تشكل ما نسبته (٢٥ %) من مجموع سكان العالم لكنها تمتلك أكثر من (٨٠%) من أجهزة الحواسيب وأجهزة الهاتف وأجهزة التلفزيون وهي : الولايات المتحدة الأمريكية ، واليابان ، وألمانيا ، وسويسرا ، وكندا ، وبريطانيا ، واسبانيا ، وفرنسا ، وهولندا ، وايطاليا .

وقد حدد النادي العربي للمعلومات بدمشق أهم سمات الواقع العربي في مجال المعلومات في نقاط عدة أهمها :[٢٣]

---

[٢٣] ربحي مصطفى عليان . مجتمع المعلومات والواقع العربي . مصدر سابق . ص ٣٤ .

١- انتشار ظاهرة الأمية بين المجتمعات العربية وانخفاض عدد المهتمين بالقراءة .

٢- غياب التشريعات العربية الملائمة لتنظيم مسألة المعلومات .

٣- ضعف الوعي العام حول أهمية المعلومات وخدمات المعلومات وانخفاض مستوى خدمات المعلومات المقدمة للمجتمع .

٤- لا يزال العرب بعيدين عن الاستخدام الأمثل لتقنيات المعلومات .

٥- ضعف المشاركة العربية في شبكة المعلومات (الانترنيت) على المستويات كافة .

٦- الصناعة العربية في مجال تقنية المعلومات ضعيفة وتقليدية او تحويلية .

٧- لا ينفق العرب على البحث العلمي سوى مبالغ ضئيلة .

٣-٦- اخلاقيات المعلومات مع التقنيات الحديثة : الواجب والمسؤوليات

تؤدي حرية الاتصال بصورة طبيعية إلى خلق واجبات ومسؤوليات لدى كل من يتوافر له امتياز الوصول إلى المعلومات ، كالأطباء والمحامين ... الخ .

ان هذه الواجبات والمسؤوليات تشكل جانبا مهما من الاهتمام بتحسين اخلاقيات العمل ، ففي عام ١٩٩٧ ذكرت إحدى اللجان التابعة للحكومة البريطانية ، وهي لجنة المعايير المتبعة في الحياة العامة (لجنة نولان) ، قائمة مؤلفة من سبعة مبادئ يتوقع من أعضاء البرلمان والشخصيات العامة الأخرى إتباعها ، وهي :-[٢٤]

---

[٢٤] مايكل هيل . أثر المعلومات في المجتمع : دراسة لطبيعتها وقيمتها واستعمالها . مصدر سابق ، ص ١٦٩ .

١- ضرورة اتخاذ القرارات على أساس الصالح العام فقط .

٢- النزاهة (عدم الخضوع للتأثيرات غير السليمة) .

٣- الموضوعية (تقرير الخيارات حسب استحقاقها ومزاياها) .

٤- المحاسبة (ضرورة خضوع القرارات للفحص).

٥- الصراحة (يجب وضع الأسباب الكامنة وراء اتخاذ القرارات) .

٦- الأمانة (عدم الاختصار في ذكر الحقائق) .

وأخيرا يمكن القول بأن تقنيات المعلومات والاتصالات تستطيع إحراز تقدم في مجال التنمية وسد الفجوة الرقمية العالمية وتمكين شعوب الدول النامية من الاستفادة من الإمكانات الواسعة التي تقدمها هذه التقنيات لتحسين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية . وتنادي أهداف الأمم المتحدة الإنمائية للألفية بتوفير مزايا التقنيات الجديدة لجميع الدول ويأتي هذا في إطار إستراتيجية تهدف إلى تسريع وتيرة النمو، الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى تقليل حدة الفقر ، وتمشيًا مع الأهداف الإنمائية للألفية والتوصيات التي خرج بها مؤتمر القمة العالمية لمجتمع المعلومات ، تعمل مؤسسة الرخصة الأوروبية لقيادة الحاسوب على تأهيل الأشخاص والمنظمات والمجتمع لاكتساب مهارات الوصول إلى مجتمع المعلومات واستخدامها ، وهي بذلك تساعد على تخفيف حدة الفقر وتيسير الوصول إلى التعليم وتحقيق العدالة بتوفير مجتمع معلومات للجميع.

المصــادر

١- باسل محمد الراوي ، زينب عبد الواحد ، لمى فاخر عبد الــرزاق . تأثير الحوسبة على الإجــراءات الفنيــة فــي المكتبــات ومراكــز المعلومات . المجلة العراقيــة للمكتبــات والمعلومــات ، مــج٢ ، ع٢ ، ١٩٩٦.

٢- ربحي مصطفي عليان . مجتمع المعلومات والواقع العربي . مجلــة رسالة المكتبة ، مج٣٩ ، ع٢ ، ٢٠٠٤ .

٣- زكي الوردي ، مجبل المالكي . المعلومات والمجتمــع .- عمــان : الوراق ، ٢٠٠٢ .

٤- عامر إبراهيم قنديلجي ، إيمان فاضل السامرائي . تقنية المعلومــات وتطبيقاتها .- عمان : الوراق للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ ،

٥- عماد عبد الوهاب الصباغ - علم المعلومات . عمان ، ٢٠٠٢ .

٦- مايكل هيل . أثــر المعلومــات فــي المجتمــع :دراســة لطبيعتهــا وقيمتها واستعمالها.

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ٢٠٠٤.

٧- محمد فتحي عبد الهادي . مجتمع المعلومات بين النظرية والتطبيق القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٨.

٨- محمد محمد الهادي . تقنية المعلومات والاتصالات . القاهرة : المكتبة الجامعية ، ٢٠٠٤ .

٩- محمد تيسير درويش . استخدام الحاسوب في المكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات . رسالة المكتبة ، مج ٢٢ ، ع٤ ، ١٩٨٧.

١٠- محمد فتحي عبد الهادي ، نبيلة خليفة جمعة ، يسرية زايد . اتجاهات حديثة

في الفهرسة .- القاهرة :مكتبة الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٧.

١١-نجيب الشربجي . اثر تقنية المعلومات على المكتبات ومراكز المعلومات

والتوثيق ، رسالة المكتبة ، مج٢٢، ع٤ ، ١٩٨٧، ص٤٠.

١٢- هاني شحاذ الخوري . تقنية المعلومات على إعقاب القرن الحادي والعشرين . دمشق : مركز الرضا للحاسوب ، ١٩٩٨ .

13- Enser,p.Informatiom management for an information Profession.p40

14- Haines M.Library and information policy development [2]in the NHS.London Bowker- Saur. 1996.p177

15- Warnock,M.imagination and - Time.Oxford Time.Oxford:BlackWell.1994.p170

النصح والإرشاد في شعـــر
المرأة الجاهلية والمسلمة
دراسة موضوعية فنيّة

الدكتورة نضال أحمد باقر الزبيدي

الملخص :

تطرّق البحث إلى النصح والإرشاد في شعر المرأة الجاهلية والمسلمة ، وقد تعرضنا فيه لموقف بعضهن في هذا المجال من خلال النصوص التي وردت في المصادر القديمة ثم تعرض البحث للدراسة الفنية ووقف عند أسلوب الإنشاء الطلبي ؛ لأنهُ أكثر دورانا في شعرهنّ ولاسيّما أسلوب الأمر ، وأسلوب النهي ، وأسلوب الاستفهام ، وختمَ البحث بالوقوف عند تعليل الشاعرة حين تنصح وترشد لتقنع المتلقي ويأخذ بما تقول .

المقدمـــة :

النصح والإرشاد لغةً واصطلاحا :

النصح لغةً : خلص ، ورجل ناصح الجيب لا غش فيه ومنه جاءت التوبة النصوح ، والنصوح المستشار ويسمى ناصحا ونصيحا [١] .

والإرشاد لغة : جاء في مادة رَشَدَ أن الأصل اهتدى ، والرَشد الاستقامة على طريق الحق مع التصلب فيه ، والرشيد من أسماء الله سبحانه وتعالى وهو الهادي إلى سواء الصراط [٢] .

---

[١] ينظر لسان العرب : مادة ، نصح .

[٢] ينظر المصدر نفسه والمادة نفسها .

أما النصح في الاصطلاح فهو ((الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عن الفساد)) [٣] أو هو ((خلاص العمل عن شوائب الفساد)) [٤].

والإرشاد في الاصطلاح يمثله شعر الوصايا والنصح والتوثيب وقد يتعدى ذلك إلى الدعوة إلى الحلم في معالجة الأمور وتحمل الشدائد والحكمة والمروءة .. إذن العلاقة واضحة بين النصح والإرشاد وفي ضوء ذلك رأينا أن ندرس الموضوعين معاً لشدة تداخلهما فنيا وموضوعيا .

كان العربي قبل الإسلام يأنس بمشورة العقلاء ويسمع نصائح وعظات ممن هم أكبر منه سنا ، وهذا ذاته يمثل نصحا وإرشادا بصورته البسيطة . إذ كانوا يشاورون أصحاب العقول الراجحة والتجارب السالفة ، وحاملي الدين والتقى والوداد، البعيدين عن الهوى والأغراض الفاسدة [٥] ، لذا نشأ شعر النصح والإرشاد في العصر الجاهلي في نفوس تهوى التمسك بالقيم والتقاليد والأعراف التي يتوارثونها من أسلافهم ، فقد كانت القيم الأخلاقية دافعا مهما في تقويم سلوك أبنائها؛ لأنَّ ((البناء الاجتماعي للمجتمع الجاهلي يستند إلى شبكة قيمية واسعة الأطياف والتنوعات ، وقد عززت تلك البنية بحث المجتمع والفرد المتواصل على حد سواء لأنهما على نحو أو آخر يجدان أن تلك البُنية تنهار ما لم تتمسك النفوس بتلك القيم لأنها ــ أي القيم ــ هي الوجود وهي مثار الاهتمام)) [٦] .

فضل الشعر في إيصال النصح والإرشاد :

إنَّ النصح والإرشاد الذي يقدمه الفرد الاعتيادي غير الشاعر أو الشاعرة يُعدُّ حصرا عليه وحده ، أو بمعنى آخر لا يشكل أثرا عاما فهما

---

(٣) التعريفات : ٣١١.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ينظر أدب الدنيا والدين : ٢٧٦-٢٧٧.

(٦) الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام : ٥٧.

ينحصران في محيط دائرة صغيرة تشمل أسرته ، وقد تزيد عن ذلك أو تنقص .

أما المرأة الشاعرة فكونها تمثل عنصرا مهما في محيط أسرتها والمجتمع ، فالمجتمع يحظى بنصيب كبير في مجال فنها ، فهي قادرة على أن تجعل هذه النصائح والإرشادات دَفَقا مستمرا على طول الرحلة التي قد تستغرق الحياة برمتها ، والسبب في ذلك يعود إلى الطبيعة التخيلية التي تميز الشعر عن النثر[٧] ، فالشعراء كما يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي ((أمراء الكلام يصرفونه أنَّ شاؤوا ، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ... واستخراج ما كلت الألسن عن وصفه ونعته والأذهان عن فهمه وإيضاحه فيقربون البعيد ، ويبعدون القريب)) [٨] .

والشعر بعد ذلك يفوز في إثارة المتلقي ودفعه وحثه على إيثار الفعل الجميل وتجنب الفعل القبيح ، وبهذا تمكنت المرأة الشاعرة من تكريس خبراتها الفنية وتجاربها العملية وجعلهما ميدانا تنطلق منه لاجتذاب أبنائها أو ذويها أو أفراد مجتمعها نحو الطريق المستقيم وتوجيههم نحو كل ما يرفع من شأنهم ومكانتهم بين الناس بلسان الشعر الناطق بالنصائح والإرشادات والمعبّر عن كل ما اكتسبته وتعلمته في رحلة الحياة .

لا ريب أن الأُم هي النبع الصافي للحب والحنان الذي يغرف الأبناء ما شاؤوا من معينه العذب الذي لا ينضب بمرور الأيام وتقادم السنين ؛ وما تملكه المرأة الشاعرة من الحب يمكن أن نعده مقياسا نقيس به إنسانيتها ، وسمو شعرها وخصوبة عاطفتها ، وحين يكون الناصح ودودا تقبل نصائحه ؛ لأنَّ ((النصح والمودة يصدقان الفكرة ويمحضان الرأي))[٩] ، فقد قدّمت أعرابية من بني صباح من عبد القيس نصائح وإرشادات لابنتها يوم زفافها ، وهي أرقى هدية تلقتها البنت في ذلك

---

[٧] ينظر منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٣٤.

[٨] المصدر نفسه : ١٤٣-١٤٤.

[٩] أدب الدنيا والدين : ٢٧٤.

اليوم ، لأنها صادرة من قلب رحيم وفكر سليم دائب التفكير في إيجاد السبيل الصحيح الذي تسير عليه ابنتها لتنال السعادة والاستقرار ، وتجنبها المهالك وسوء العاقبة ، إذ قالت [١٠] :

لا تهجري في القولِ للبعلِ ولا
تُغريـه بالشرِّ إذا ما أقبـلا
فأول الشرِّ يكـون جلـلا
محتقرا ثم يصيـرُ معضـلا
ولا تنثي ما عليـه بخـلا
لتكشفي من أمرهِ ما حمـلا

سلكت الأم الشاعرة في العصر الجاهلي سبلا مختلفة في تقديم النصح والإرشاد لأبنائها ، فحين يكون الابن طفلا صغيرا تتبع في نصحه وإرشاده سبيل الرقة والشفقة والملاطفة التي تبعثها في نفوس أبنائها بعثا من خلال تسخيرها لفنها، إذ تقوم بإنشاد الأغاني التي تبعث الفرح والنشوة في نفوسهم وتهدف من وراءها تهذيب النفوس وتربية الأذواق ؛ لأنّ ((العرب اتخذوا من الأغنية أداة للتهذيب وحسن التنشئة فأحاطوا أطفالهم عن طريقها بجو من الفضائل العليا ، ليألفها الأطفال في الصغر ويلتزموها في الكبر)) [١١] فصفية بنت عبد المطلب حثت ابنها وأرشدته بصورة غير مباشرة إلى الطريق المتبع آنذاك ليكون بطلا مقداما يدافع عن نفسه ويذبُّ عن ذويه ويحميهم من أيدي المعتدين ، فحين كسر ابنها الزبير يد غلام في مكة وجيء بالغلام إليها قالت [١٢] :

---

[١٠] أشعار النساء : ١٤٥، نث الخبر : أفشاه

[١١] الشعر الشعبي : ١٠٣.

[١٢] معجم ديوان أشعار النساء : ١٠٦ ، زبرا : اسم للدلال ، الزبير : الداهية، الأقط : الجبن (الطعام) ، مشمعلا : جادا في المضي ثائرا .

كيفَ وجـــدت زبرا
أأقطا خبتــهُ أم تمرا
أم مشمعلا صقـــرا

ونرى الشاعرة ذاتها بعد أن رقت وحنت في سبيلها الأول الـذي رامت به تقديم النصح والإرشاد تقسو وتغلظ وتضرب في سبيلها الثـاني وغايتها في ذلك إرشاد وتقويم سلوك ابنها ليكون رجلا شديدا عند الكبر . فقد روي أن نوفل بن خويلد أخا زوجها العوام ، كان قد وليَّ رعاية ابـن أخيه الزبير فلاحظ بعض الغلظة في معاملتها لأبنائها ، إذ كانت تـضرب الزبير في صغره فعاتبها عمه في ذلك ، وقال لها ما هكذا يضرب الولد ، أنك لتضربينه ضرب مبغضه فقالت منكرة عليه قوله [١٣] :

مَنْ قالَ إني ابغضهُ فقد كذبْ
وإنما أضربهُ لكي يلـــــبْ
ويهزمُ الجيش ويأتي بالسلبْ
ولا يكن لماله خبا مُخـــبْ
يأكلُ ما في البيتِ من تمرٍ وحبْ

وبرزت الشاعرة أُم النحيف سعد بن قيس[١٤] أنموذجا رائعا لهـذا الضرب من الأداء الشعري الواعي الذي خلقه الواقع والتجربة الحيّة ، فقد قرنت الواقع بأصول المرجعيات للثقافة العربية الأصيلة ، فجـاء نتاجهـا حافلا بالمبادئ والأفكار التي تدعو إلى الالتزام بالمكارم الخلقية والخصال الحميدة التي تمسك بها أبناء المجتمع العربي، إذ نراها تحذر ابنها وتنهـاه عن البغي فهو من الأفعال المنكرة التي تخالف سلوكيات المجتمع العربي ،

---

[١٣] المصدر نفسه :١٠٤ . يلب : أي يلتزم بالأمر ولا يحيد عنه أو يصير لبيا عاقلا .

[١٤] أم النحيف شاعرة من بني جذيمة من عبد القيس ويبدو أن هذه الشاعرة هي أم سعد بن قرط أخو الشاعرة أخت سعد بن قرط وقد أدركـت الإسـلام ورحلـت إلـى البصرة ، والنحيف ابنها وهو سعد بن قرط من بنـي جذيمـة . ينظـر : أشـعار النساء : ١٣٧.

وتمضي إلى التعليل والتبرير إلى ما ستؤول إليه تلك الأفعال من جزاء وعقاب ، وتبغي من وراء ذلك إصلاح شأنُ الابن ليرتقي إلى مصاف حاملي الأخلاق الحميدة من أبناء المجتمع العربي ، إذ قالت [١٥] :

حذارِ بُنيَّ البغيَ لا تقربنَّهُ
حذارِ فإنَّ البغيَ وَخْمٌ مراتعه [١٦]

وعرضكَ لا تبذلْ بعرضك أنني
وجدت مضيع العرضِ تُلحى طبائعه [١٧]

وكم قد رأينا الدهرَ غادر باغيا
بمنزلة ضاقت عليهِ مطالعه

وتمضي الشاعرة أم النحيف في بعض الأحيان لإظهار معاناتها من ذلك الابن الذي اعتادت أن تتسامح معه ولا تبادله بالمثل ، فهي دائبة على تقديم النصح والإرشاد له أملا في إصلاحه ، فقد تزوج النحيف سعد بن قيس في الجاهلية من امرأة كانت قد نصحته أن لا يتزوجها لكنه بها كان عاقا ولم يمتثل للنصح والإرشاد فكان كما قال سيف بن ذي يزن ((من أُعجب برأيه ولم يشاور ومن استبد برأيه كان من الصواب بعيدا))[١٨] فقد بانَ بعد مدة خطأه فندم وأراد أن يطلق زوجه لكن أمه نصحته أن ينتظر صروف الأيام لترمي بزوجه في قبر مظلم ، وتطلب إليه أن يصبر عليها حتى تأتيها المنيّة فتجعلها رفاة في القبر إذ قالت [١٩] :

لعمري لقد أخلفت ظني وسؤْتني
وحزت بعصياني الندامة فاصْبرِ

---

[١٥] أشعار النساء : ١٤٠.

[١٦] الوخم : الثقيل الذي لا يهضم .

[١٧] تلحى : تلام .

[١٨] أدب الدنيا والدين : ٢٧٣.

[١٩] شاعرات العرب : ١٠٢.

ولا تكُ مطلاقا ملولا وسامح القرينة وافعل فعلَ حرٍّ مشهَّرِ

فقد حزت بالورهاء أخبث خبثة فدعِ عنكَ ما قد قلت يا سعد واحذرِ [٢٠]

تربص بها الأيام عَلَّ صروفها سترمي بها في جاحمٍ مُتسعِّرِ [٢١]

فكم من كريمٍ قد مناه إلههُ بمذمومة الأخلاقِ واسعة الحُرِ [٢٢]

فطاولها حتى أتتْها منيّة فصارت سفاة جثوة بينَ أقبرِ [٢٣]

إنَّ تباين المعتقدات الدينية لعرب ما قبل الإسلام بين الوثنية والنصرانية واليهودية لم ينفِ تمسك بعض الأُمهات الشواعر الجاهليات بالقيم والقواعد السلوكية التي شملت المعتقدات الدينية ، فسبيعة بنت الأحب بن زبينة زوج عبد مناف بن سعد وضعت خبرتها وتجربتها بين يديّ ابنها خالد ، إذ نصحته بتعظيم حرمة مكة وهي المكان المقدس وذكّرته بتبع وما صنع ، ونهته عن البغي والظلم فيها ، إذ قالت [٢٤] :

أبنيّ لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبيرْ

واحفظ محارمها بُنيَّ ولا يغرَّنكَ الغرور

أبنيَّ من يظلمْ بمكة يلقَ أنواعَ الشرور

أبنيّ قد جربتها فوجدتُ ظالمها يبور

---

[٢٠] الورهاء : الحمقاء .

[٢١] الصروف : النوائب والمحن .

[٢٢] الحر : فرج المرأة .

[٢٣] سفاة : كومة من التراب ، جثوة : حجارة مجتمعة .

[٢٤] السيرة النبوية : ١/٢٥-٢٦ ، شاعرات العرب : ١٠٩-١١٠.

ولقـــد غزاهـــا تُبـــعٌ   فكـــسا بنيتِهـــا الحبيـــر
فاســـمع إذا حـــدثت وافـــــ   ـهــم كيــف عاقبــة الأمــور

وهكذا يظهر أثر الأم الشجاع التي ربت أبناءَها على القيم الجاهلية التي توارثتها من بيئتها وأسلافها ، فقد زرعت في نفوسهم الحب والاحترام والقوة والبسالة ، فكان لها ((فضل تأديبهم فكل ذلك منها مفيضة وإليهـا مرجعه))[٢٥] فنشأ الأبناء يبادلونها الحب والاحترام فضلا عن الإصــغاء إلى نصائحها وإرشاداتها .

كثيرا ما وسم الشعراء الجاهليون والإسلاميون زوجاتهم بالبخـل والشح وذكروا أنهن كنَّ يكثرنَ اللوم على الإنفاق[٢٦]، وهذا القـول هـو مجازي غير حقيقي ذلك لأن المرأة في هذا الوصف هي العاذلة، والعاذلة يجردها الشاعر من ذاته وهي بذلك تكون غير حقيقية ليجعلها شماعة لمـا يريد أن يحجم عن الإضرام أو العطاء، إلاّ إنَّ شعر النـصح والإرشـاد يتقاطع مع ما جاء في مقدمة الفقرة ، فقد وجدنا النساء بصورة عامة لـم تكن تدعو إلى الشح والبخل ، فهذا سالم بن قحفان العنبري كـان رجـلا معطاءً يهب الجمال لسائليه ، وذات يوم قال لزوجه ليلى بنت مرداس هاتي حبلا يقرن به الجمل ، فقالت له : لم يبق عندي حبل فظن أنها تلومه على العطاء فعاتبها ببيت شعري قال فيه [٢٧] :

لا تعذليني في العطاءِ ويــسري
لكل بعيــر جــاء طالبــه حــبلا

---

[٢٥] المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها : ٦٧-٦٨.

[٢٦] ينظر على سبيل المثال لا الحصر شرح ديوان لبيد : ٢٤٦ ، ديوان حميد بن ثور : ٧٦، ديوان معن بن أوس : ٨٠، شعر النابغة الجعدي : ٢٣٦ ، شعر عمرو بـن شأس :٤١.

[٢٧] بلوغ الأرب : ١/٥١-٥٢.

فرمت زوجه خمارها وقالت اجعله حبلا لبعضها ثم قالت ناصحة له بالإستمرار في العطاء وناهية له عن البخل [٢٨] :

حلفتُ يمينا يا ابن قحفان بالـذي
تكفل بالأرزاق في السهل والجبلِ

تزال حبـالٌ محـصدات أُعـدُها
لها ما مشي منها على خفهِ جملِ

فأعطِ ولا تبخلْ لمن جاء طالبـا
فعندي لها خُطمٌ وقد زالت العللِ

على الرغم من احتلال العاطفة المنزلة الأولى في شعر المرأة فقد قيل ((أن العاطفة والحس المرهف هما من أهم مقومات الشعر ومقومات طبيعة المرأة)) [٢٩] إلاّ إننا لا نعدم وجودا بارزا للفكر المنظم للعواطـف والمسيطر على المشاعر في أغلب الأحيان ، والشاعرة بواسـطته تحقـق رسالتها الموجهة نحو تهذيب الأخلاق مما يجعلها عضوا مهما في التعبير الصادق عن أخلاقيات المجتمع وأعرافه ، فأم الضحاك المحاربية وهي من الشواعر الجاهليات طلّقها زوجها وهو رجل من الضباب وقد أحبته حبـا جما وذاقت ألما ولوعة من فراقه ، فشاورت في أمرها بعضا من أصحاب التجارِب القديمة ، وبعد أن أشاروا عليها قالت [٣٠] :

سألتُ المحبـينَ الـذين تحملـوا
تباريح هذا الحب في سـالف الـدهرِ

فقلتُ لهم ما يذهب الحب بعـدما
تبوأ مـا بـينَ الجـوانح والـصدرِ

فقالوا شفاء الحب حـب يزيلـه
من آخر أو نأيٌ طويل علـى هجـرِ

---

[٢٨] المصدر نفسه ، شاعرات العرب : ٦٨.

[٢٩] المرأة في الشعر الجاهلي : المقدمة . ص د .

[٣٠] شاعرات العرب : ٦٤.

أو اليأس حتى تذهل النفس بعدما

رجت طمعا واليأس عونٌ على الصبرِ

بهذه البساطة والسذاجة والآراء الغريبة التي تنم على الشذوذ أشاروا عليها إلاّ أن الشاعرة انفردت بفكرها واجتهدت في رأيها الذي وافق الأعراف والقيم الأخلاقية التي يتحلى بها المجتمع في العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا ، فهو يحتم على الزوج أن تكون مخلصة لزوجها ، وتتفانى في سبيل الاحتفاظ به وبذلك تنال الحمد والثناء، وهذا ما أجهدت الشاعرة نفسها للقيام به ، فقد أظهرت حبا واحتراما وإجلالا لبعلها على الرغم من أن المرأة غالبا ما تعرض عن البوح بمشاعرها تجاه زوجها أو حبيبها، فهذا أمر تأباه طبيعة المرأة التي اعتادت أن تكون مرغوبا بها لا راغبة ، إلاّ إن ألم العشق الذي حلّ بفنائها جعلها تستبيح بعضا من حيائها وقد كانت قادرة على استجماع قواها الفكرية والعاطفية لتقدم النصح والإرشاد لمن ألمَّ بهم داء العشق فهي ترى الحب الصادق لا يفنى ولا يستحدث ، وهو عندها سمع أذن ونظرة عين وحنة قلب وما كان دون ذلك فهو فانٍ ، إذ قالت [٣١] :

أرى الحب لا يفنى ولم يفنه الأولى — أحينوا وقد كانوا على سالفِ الدهرِ

وكلهم قد خالهُ في فؤاده — بأجمعهِ يحكون ذلكَ في الشعرِ

وما الحب إلاّ سَمع أُذن ونظرةٌ — وحنة قلب عن حديث وعن ذكرِ

ولو كانَ شيءٌ غيرهُ فنيَ الهوى — وأبلاهُ من يهوى ولو كانَ من صخرِ

---

[٣١] شاعرات العرب : ٦٤-٦٥ .

من ذلك يتضح ثبات المرأة الجاهلية على عواطفها وعدم تلونها كما زعم بعض الشعراء الذين ربما كان لعدم الثقة والنظرة السلبية التي يكتنفوها حيال المرأة أثرٌ في قول بعضهم [٣٢] :

وتنكرت لي بعدَ ودٍ ثابت
أنى تجامع وصل ذي الألوانِ

ظهر النصح والإرشاد في شعر المرأة بصورٍ شتى ، تختلف اقترانات تلك الصور باختلاف الحال والسبب اللذين كانا دافعا وراء الإفصاح عنهما ، فقد نصحت ريطة بنت جذل الطعان قومها وأرشدتهم إلى وجوب فك دريد بن الصمة الشاعر المعروف من الأسر جزاء لما فعل (يوم الضعينة) إذ أن ربيعة بن مكدم زوج الشاعرة انكسر رمحه وهو يقاتل فرآه دريد وهو خصمه فقال ((أيها الفارس أن مثلك لا يقتل ولا أرى معك رمحا ، فدونك هذا الرمح)) [٣٣] فنجا ربيعة ، وذات يوم وقع دريد أسيرا في قوم الشاعرة فعرفته وهي ابنة سيد القوم وزوج فارسهم لذا تقبل القوم منها النصح والإرشاد فأطلقوه ، إذ قالت [٣٤] :

سنجزي دريدا عن ربيعة نعمة
وكل امرئٍ يُجزى بما كان قدَّما

فإن كان خيرا كان خيرا جزاؤه
وإن كان شرّا كان شرًّا مذمَّما

سنجزيه نُعمى لم تكن بصغيرةٍ
بأعطانهِ الرمحَ الطويلَ المقومَّا

فقد أدركتْ كفاه فينا جزاءهُ
وأهلٌ بأن يُجزى الذي كان أنعما

---

[٣٢] شرح ديوان كعب بن زهير : ٣١٥.

[٣٣] شاعرات العرب : ٥٦ ، الضعينة هي الشاعرة ريطة بنت جذل الطعان .

[٣٤] المصدر نفسه .

فلا تكفروه حقَ نُعماهُ فيكمُ
ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما

فلو كانَ حيًا لم يضق بثوابه
ذراعا غنياً كانَ أو كانَ معدما

ففكوا دُريدا من إسار مخارقٍ
ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ سلّما

ومن المواقف التي صورها الأدب العربي في العصر الجاهلي التي تدلُ على احترام الأخت وقبول النصح والإرشاد منها والاستماع إلى آرائها والأخذ والعمل بها ـ ما ورد عن زرقاء اليمامة وكانت مشهورة بحدة البصر ، فقد رأت عدوهم مختبأ وراء الشجر فقالت تنصح قومها وترشدهم [٣٥] :

خذوا حذاركمُ يا قومُ ينفعكم
فليس ما قد أرى بالأمرِ يُحتقر

إني أرى شجرا من خلفها بشرُ
وكيفَ تجتمعُ الأشجار والبشرْ ؟

ثوروا بأجمعكم في وجه أولهم
فإن ذلك منكم فاعلموا ظفرْ

ضموا طوائفكم من قبل داهية
من الأمورِ التي تخشى وتنتظرُ

إلى أن تقول :

فغوروا كلَّ أرضٍ قبل ثالثةٍ
فليس من بعدهِ وردٌ ولا صدرُ

---

[٣٥] شاعرات العرب : ٧٤.

وعالجوا القوم عندَ الليلِ إذ رقدوا

ولا تخافوا لهم حَرباً وإن كثروا

وغوروا كل ماء دون منزلهم

فليسَ من دونهِ نحسٌ ولا ضررُ

الأخذ بالثأر من الأمور المقدسة في العرف الجاهلي الذي يظهر قدرات القبيلة الظاهرة والباطنة ويحفظ عزّها وديمومتها فـ ((من عقائد الجاهليين أن القتيل لا يهدأ في قبره حتى تصيب القبيلة من دم قاتليه والدم عندهم لا يغسل إلاّ بالدم))[٣٦] لذا نرى القبيلة سرعان ما لبّست نداء الشاعرة عمرة بنت معد يكرب أخت الشاعر عمرو بن معد يكرب ، إذ نصحتهم بالثأر حفاظا على كرامة القبيلة وضمانا لراحة القتيل في قبره جريا على العادة التي توارثوها ، إذ قالت [٣٧] :

أرسل عبد الله إذ حانَ يومهُ

إلى قومهِ لا تعقوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم أفالا وأبكرا

واترك في بيت بصُعدة مظلمِ

فإن أنتم لم تثأروا واتديتم

فمشوا بأذان النعام المصلمِ

وهذه الصورة من النصح والإرشاد تكررت عند أكثر من شاعرة من الشواعر الجاهليات[٣٨] ، إذ يأتي مندمجا مع أبيات من الرثاء لكن الشاعرة في أغلب الأحيان تخرج من عالم الحزن إلى تقديم النصح

---

[٣٦] المعاني الكبير : ١٠١٧/٢.

[٣٧] شعر المخضرمات في الجاهلية والإسلام : ٥١.

[٣٨] ينظر حماسة البحتري : ٣١ مقطوعة لابنة حكيم العبدية ، شرح ديوان الخنساء : ١٧٤.

والإرشاد إلى أبناء قومها طالبة إليهم أن يأخذوا الثأر إذا كان المرثي مقتولا وتحثهم على أن يصدقوا في عملهم وألا يجنبوا أمام العدو فإن تخاذلوا كانوا من النساء .

من هنا نستطيع القول أن كثيرا من شعر النصح والإرشاد الذي نثرته المرأة الشاعرة في نتاجها الأدبي نبتَ وترعرع في ظل القبيلة التي تنتمي إليها خاصة إذا رأت وطأة النوازل تحل بفنائها فتعلن حينئذٍ عن رفضها لكل ما يحطُّ من شأن القبيلة وتدعو إلى كل ما من شأنه أن يُرفع ذكرها ويديم عزها بين القبائل الأُخرى .

وبعد بزوغ فجر الإسلام صار النصح والإرشاد أكثر ارتباطا بالنص الشعري الإسلامي لكونهما أصبحا مفهوما شائعا بحكم تأثرهما بالقرآن الكريم ، إذ قال تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ [٣٩] ، وقال سبحانه أيضا : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [٤٠] وبدون النصح والإرشاد لا يتم إيمان المسلم فقد جاء على لسان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) ((إنَّ الدين النصيحة ، إنّ الدين النصيحة ، إنَّ الدين النصيحة)) [٤١] لذا أفاد الشعراء المسلمون من فنهم لتحقيق هذا الهدف النبيل وشاركت الشاعرة المسلمة أخاها الرجل في تسخير فنها لخدمة الإسلام والمسلمين .

فالمرأة بعد إسلامها وتفقهها في الدين أصبحت أكثر اطمئنانا واستقرارا لما حظيت به من تكريم ورعاية ، فالله سبحانه حفظ لها حقها في الحياة الكريمة ، إذ أنكر على الجاهليين شر ما كانوا يفعلون ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي

---

[٣٩] الأعراف من الآية : ٧٥.

[٤٠] غافر : ٣٨ .

[٤١] سنن أبي داود : ٥٨٣/٢.

التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٤٢) فامرأة أبي حمزة التي هجرها زوجها حين ولدت بنتا كانت راضية مطمئنة شاكرة لنعمة الله تعالى ، وقد وظفت فنها الشعري في تقديم النصح بلطف ومحبة لزوجها الذي هجرها حين ولدت بنتا، وحين شعرت بوجوده قرب خبائها راحت ترقص ابنتها الصغيرة ، إذ قالت (٤٣) :

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا
تالله ما ذاكَ في أيدينا
وإنما نأخذ ما أُعطينا
ونحنُ كالأرضِ لزارعينا
ننبتُ ما قدْ زرعوهُ فينا

هذه المرأة المثقفة في أمور دينها ودنياها قدّمت النصيحة على طبق من ذهب إذ لفتت نظر زوجها إلى وجوب الرضا بما رزقهم الله سبحانه دون أن تجرح مشاعره ؛ لأنّ الأولاد هبة الله إذ قال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ (٤٤) . إذن لا ينبغي للمسلم كراهية البنات ، وعدم الرضا ليس من طبيعة المسلم بل هو من مخلفات الجاهلية ، والإسلام أمر بالعدل والمساواة ، قال تعالى : ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (٤٥) لأن العدل والمساواة يبعث في نفوس الأبناء الرضا والطمأنينة والألفة والمحبة ويمنع الحسد والحقد الذي يضر المجتمع الإسلامي .

---

(٤٢) النحل : ٥٨-٥٩ .

(٤٣) قبيلة ضبة : ١٤٣-١٤٤.

(٤٤) الشورى من الآية : ٥٠.

(٤٥) المائدة من الآية : ٨.

جاء النصح والإرشاد في شعر المرأة المسلمة على شكل نماذج من المقطعات الشعرية تتسم بغزارة الثقافة الإسلامية التي تمثلت في شخصية الشاعرة المسلمة ، إذ تروم الشاعرة التزام بنات جلدتها بكل القواعد والسلوكيات التي أمر الله سبحانه بها المرأة ، فالسيدة عائشة رضي الله عنها نصحت النساء المسلمات اللواتي حضرن عرس فاطمة الزهراء عليها السلام وأرشدتهن إلى وجوب ستر الرأس عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [46] وتذكر لهن ما يمكن أن يقال في هذه المناسبة إذ تنصح بالإكثار من ذكر الله سبحانه وحمده ، فقد فضّل الله تعالى فاطمة الزهراء عليها السلام على نساء العالمين ، إذ خصها وزوجها بالطهر ، إذ قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا ﴾ [47] حين قالت[48]:

يا نسوة استرن بالمعاجرِ	واذكرن ما يحسنُ في المحاضرِ
واذكرن ربّ الناسِ إذ خصنا	بدينهِ مع كلِّ عبدٍ شاكرِ
فالحمدُ للهِ على أفضالهِ	واشكر للهِ العزيزِ القادرِ
وسرن بها فالله أعطى ذكرها	وخصها منهُ بطهرٍ طاهرِ

---

[46] الأحزاب :٣٣

[47] السورة والآية نفسها .

[48] معجم ديوان أشعار النساء : ١٢٨ ، المعاجر : جمع معجر وهو ثوب تلفه المرأة على رأسها .

ومن نصائح المرأة المسلمة ما نصحت به الجُعفية زوج الشاعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي أبناء قومها ، إذ قالت [٤٩] :

فقل لزبيد بل لمذحج كلها
فقدتم أبا ثور سنانكم غمْرا

فإن تجزعوا لا يُغنِ ذلك عنكم
ولكن سلوا الرحمنُ يعقبكمُ صبرا

فالجعفية هي الزوج المحبة الوفية لا تجد نفعا من جزع قومها ولا ملاذا من آلامهم على فقد فارسهم عمرو بن معد يكرب ، إلاّ أن يعودوا إلى التأسي بالصبر والموعظة والحكمة ولا يوجد أكثر من الصبر ثباتا في القلب إذا ما توجه به المرء إلى الله سبحانه ، فهو حسبه وهو المعين . ومن هنا يظهر تأثير الإسلام في الشاعرة واضحا ولاسيّما في البيت الثاني ، إذ جمعت الشاعرة بين المعاني الإسلامية الجديدة والمعاني الجاهلية القديمة التي أقرها الإسلام .

ونخلص مما تقدم إلى أن النصح والإرشاد الذي قالته المرأة في العصر الجاهلي والإسلامي ، كان صورة صادقة ومعبّرة عن الوضع الاجتماعي والثقافي والسياسي للمرأة العربية في تلك الحقبة الزمنية ، وقد جاءت إلينا نصائحهن وإرشاداتهن في قصائد ومقطعات مستقلة كما جاءت مندمجة مع أغراض الشعر الأُخرى ، وقد لمسنا تغيرا جوهريا في العصر الإسلامي ، وهذا التغير نراه متمثلاً في التوجه العام بالتزامهن بالقيم والمبادئ الجاهلية التي ارتضاها الإسلام ، فضلا عن القيم والمعاني الجديدة التي أتى بها الإسلام ، كالإيمان الصادق ، والهدى ، والصبر ، والرشاد ، وغيرها من المعاني التي كانت الشواعر تنصح بها ذويها .

---

[٤٩] معجم ديوان أشعار النساء : ٧٨.

الظواهر الفنية في شعر النصح والإرشاد :

لا بُدَّ لي أن أقف عند بعض الظواهر الفنية التي بدت واضحة في النصح والإرشاد الذي قالته المرأة الشاعرة في الجاهلية والإسلام .

بدا واضحا أن النصح والإرشاد هو جزء لا يتجزأ من الإنشاء الطلبي الذي ((يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب)) [٥٠] ؛ لأنهُ ليس شبيها بشيء واقع فعلا ولا مُخبرا عنه ، إذ لم يكن واقعا عند النطق به ، ومن الأنواع التي شاع استعمالها في شعر النصح والإرشاد (الأمر ، النهي ، الاستفهام) وبها استطاعت الشاعرة أن تضفي على نصوصها حلّة جمالية وإبداعية جذبت المتلقي إليها من خلال تقديمها صورا جديدة لتصبح وسيلة وهدفا في الحياة ، وهي :

١- الأمر :

هو ((صيغة تستدعي الفعل ، أو قول ينبيء عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء)) [٥١] .

جاء الأمر في لغة العرب على أربع صيغ هي : فعل الأمر ، والمضارع المقترن بلام الأمر ، والمصدر النائب عن فعله ، واسم فعل الأمر [٥٢] .

ولا حاجة بنا إلى دراسة الأمر بمعناه المعجمي كونه غير واقع في دائرة البحث .

وقد شاع استعمال الشواعر لأفعال الأمر المباشرة ، فقد وردت مع معاني النصح والإرشاد نحو قول سُبَيعة بنت الأحب بن زبينة [٥٣] :

---

[٥٠] الإيضاح : ٧٨.

[٥١] الطراز : ٣/٢٨١.

[٥٢] ينظر مفتاح العلوم : ١٥٢.

[٥٣] السيرة النبوية : ١/٢٥-٢٦ ، شاعرات العرب : ١٠٩-١١٠.

واحفظ محارمها بُني ولا يغرنّكَ الغرورِ
فاسمع إذا حُدثت وافهم كيفَ عاقبةُ الأمورِ

فقد استعملت الشاعرة أفعال الأمر (أحفظ ، اسمع ، أفهم) ناصحة ومرشدة لابنها إذ تأمره الالتزام بالقيم والمعتقدات الدينية والسلوكية التي توارثوها عن أسلافهم .

٢- النهي :

هو طلب الكف على وجه الاستعلاء والإلزام [٥٤] ، وله صيغة واحدة هي الفعل المضارع المقترن بلا الناهية [٥٥] ، وقد تخرج هذه الصيغة عن معناها إلى معانٍ أُخر[٥٦] ، تفهم من السياق وقرائن الأحوال و ((لا تنبثق عن صيغة النهيً في ذاتها)) [٥٧] .

وقد ورد النهي في شعر النصح والإرشاد الذي قالته المرأة الشاعرة في الجاهلية والإسلام حاملا معاني منها : النهي المباشر، التحقير ، التوبيخ ، فقد استعملت الشاعرة هند بنت الخس صيغة النهي المباشر للمخاطب في قولها [٥٨] :

عليك بأفعال الكرام وليِنهم
ولا تكُ مشكاسا تلجُ وتمحكُ

ولا تكُ مزاحا لدى القومِ لعبة
تظلُّ أخا هزء بنفسك يضحك

---

[٥٤] مفتاح العلوم : ١٥٢-١٥٣.

[٥٥] ينظر مغني اللبيب : ٤٧٥/١.

[٥٦] ينظر مفتاح العلوم : ١٥٣.

[٥٧] علم المعاني (تأصيل وتقييم) : ٦١.

[٥٨] شاعرات العرب : ٧٨.

حكمة الشاعرة في هذا النصح والإرشاد تمكن المتلقي من اتـــزان شخصيته وصون كرامته ، إذ تنصحه بأن يكون على بصيرة من أمره في اتخاذ من يقتدي بهم في سيرة حياته ، وتنهـــاه أن لا يـــستجيب لأهوائـــه وينصاعُ لرغباته وشـــهواته فـــي أفعالـــه، إذ أن كثـــرة المـــزاح تـــذهب الهيبة والاحترام .

وفي معنى التحقيـــر ورد النهي بصيغته المباشـــرة فـــي قـــول كبشـــة بنـــت معد يكرب ، وغايته تمثلت في الحطِّ من شـــأن المخاطـــب وتحقيره ، إذ قالت [٥٩] :

فإن أنـــتم لـــم تثـــأروا وأتـــديتم

فمشوا بأذانِ النعـــام المـــصلم

ولا تردوا إلاّ فـــضول نـــسائكم

إذا ارتملت أعاقبهن من الـــدمِ

أما في قول ريطة بنت جذل الطعان [٦٠] :

ففكوا دريدا من أســـار مخـــارق

ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ سلما

فقد نهت أبناء قومها عن الظلم والابتعاد عن الشر ناصـــحة لهـــم وموبخة إياهم في قولها (ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ ســـلما) فـــالتوبيخ يكون لمن اعتاد شيئا غير مرغوب فيه [٦١] .

نستشف من ذلك كله إن المظهر الأسلوبي للنهي يكمن في أسلوب المرأة الشاعرة ، فقد بلغت من الدقة الغاية المثلى ؛ بمراعاتها المعاني التي

---

[٥٩] شعر المخضرمات في الجاهلية والإسلام : ٥١ .

[٦٠] شاعرات العرب : ٥٦.

[٦١] ينظر المعاني : ٨٢/٣.

ترد في السياق بوضع كلماتها المعبّرة عن المعاني بالموضع الذي يتطلبه السياق مما ينمُّ على بلاغتها العالية .

كما أفرز أسلوب النهي النظرة المتعالية للمرأة الشاعرة كونها من الحرائر اللواتي اتسمن بالحكمة ورجاحة العقل ؛ وبذا يمكننا تصويب النظرة القاصرة التي ارتآها البعض على أن المرأة قاصرة العقل ضعيفة الإرادة والإدراك ، لأننا رأيناها ناصحة ، ومرشدة ومؤدبة ومحقرة ، وقد كان أسلوبها أشبه ما يكون واردا على جهة الاستعلاء ،إلاّ أنه خرج إلى تلك المعاني التي فهمت من خلال السياق .

٣- الاستفهام :

الاستفهام : هو طلب الفَهْم لشيء لم يكن معلوما من قبل ، وله أدوات خاصة[٦٢] ، ومن اللافت للنظر أن الاستفهام في شعر النصح والإرشاد الذي قالته المرأة في الجاهلية والإسلام شكّل ظاهرة أسلوبية متميزة ، فقد ظهر من خلاله أسرار نفس الشاعرة وخفاياها في استدراكها للأمور ، وهو في ذات الوقت كان وسيلة توليدية اضاءت آفاق النصوص؛ وذلك للإمكانيات المختلفة التي يحتويها الاستفهام والقابلة أن ((تغذي أي سياق كان))[٦٣] للتعبير من خلاله عن معانٍ تقصدها المرأة الشاعرة ، كالنصح والإرشاد ، فقد أضاء الاستفهام دور المتضادات في تدوير المعنى وإظهار الدلالة على نحوٍ أشبع النص بكل مقوماته الفنية والموضوعية النابعة من القيم الاجتماعية والتربوية ، وبذا استطاعت الشاعرة هند بنت الخس أن تكرس جهودها في توجيه وتفهيم متلقيها حين قالت [٦٤] :

وكم من كثيرِ المالِ يَقبضُ كفَّهُ

وكم من قليلِ المالِ يُعطي وَيَبذُلُ

---

[٦٢] ينظر : مغني اللبيب : ٣٦/١.

[٦٣] خصائص الأسلوب في الشوقيات : ٣٥٤.

[٦٤] شاعرات العرب : ٧٨.

وفي ضوء ذلك نلحظ أن أسلوب الاستفهام شكل مظهرا أسلوبيا بارزا في شعر النصح والإرشاد الذي قالته المرأة الشاعرة ، إذ كان وسيلة توليدية أضاءت النصوص .

٤- **كثرة التعليل :**

تخضع المرأة الشاعرة شعر النصح والإرشاد لنظام ربط دقيق ، إذ ربطت المقدمات بالنتائج والظواهر والأسباب ، وهو صدى لتفكيرها العلمي والعملي وحياتها القائمة على أن لكل شيء سببا ، ولذلك نراها غالبا ما تسارع إلى البرهنة على صحة ما تذهب إليه من رأي أو فكرة وكأنها تتوقع أن يناقشها السامع ، وذلك ما نلحظه في قول ريطة بنت جذل الطعان تنصح قومها بفك دريد بن الصمة من الأسر [٦٧] :

سنجزي دريدا عن ربيعة نعمة
وكل امرئ يُجزى بما كان قدما

فإن كان خيرا كانَ خيرا جزاؤهُ
وإن كانَ شرا كان شرا مُذمَّما

عمدت الشاعرة إلى استعمال صيغة الشرط في البيت الأول ؛ لأنَّ فيها ترابطا واجتماعا بين الشرط وجوابه ؛ لأنَّ حصول الأول يستلزم حصول الثاني ؛ وبذا تكون الشاعرة قد نظمت نصيحتها على الموازنة الصرفية والاشتقاقات اللغوية ، إذ أرسلت الحكمة مشفوعة بالعقل ؛ وقالت النصيحة مشفوعة بالبرهان ونطقت بالإرشاد مزدان بالحجة ، فجاء كلامها مؤثرا ، ومقنعا ؛ لأنهُ اتخذ العقل وسيلة والبرهان هدفا وغاية .

---

[٦٧] المصدر نفسه : ٥٦.

الخاتمـــة :

١) ظهر للبحث قبول النصح والإرشاد من المرأة الجاهليـــة والمـــسلمة والعمل بنصائحها وإرشاداتها.
٢) كشف البحث أنَّ النصح والإرشاد الذي قالته المـــرأة الـــشاعرة فـــي العصر الجاهلي نابع من القبيلة وخارج إليها.
٣) توصل البحث إلى أنَّ الأم الشاعرة تسلك سبيلين مختلفين حين تروم تقديم النصح والإرشاد لأبنائها الصغار تتبع في السبيل الأول الرقـــة والشفقة والملاطفة ، وفي الثاني الشدة والغلظة والخشونة .
٤) اتضح للبحث الدور البارز للفكر المنظم للعواطف والمسيطر علـــى المشاعر، والشاعرة بواسطته حققت رسالتها الموجهة نحـــو تهـــذيب الأخلاق مما جعلها عضوا مهما في التعبير الصادق عن أخلاقيـــات المجتمع وأعرافه .
٥) كشف البحث عن غزارة الثقافة الإسلامية للمرأة الشاعرة المـــسلمة ، فقد نصحت الشاعرة المسلمة بالمعاني القديمة الموروثة التي ارتضاها الإسلام ، ودعت إلى التمسك بتعاليم الدين الجديد .
٦) اتسم النصح والإرشاد بالنظرة المتعالية للمـــرأة الـــشاعرة الجاهليـــة والمسلمة ؛ لأننا رأيناها ناصحة ، ومرشدة ، ومؤدبة ، وموّبخـــة ، ومحقّرة في بعض الأحيان .
٧) ظهر للبحـــث أن النـــصح والإرشـــاد هـــو جـــزء لا يتجـــزأ مـــن الإنشاء الطلبي .
٨) كشف البحث عن قدرة الشاعرة الجاهلية والمسلمة علـــى الموازنـــة الصرفية ، والاشتقاقات اللغوية مما ينمُّ على بلاغتها العالية .
٩) أخضعت الشاعرة النصح والإرشاد لنظام ربط دقيـــق ، إذ ربطـــت المقدمات بالنتائج ، والظواهر ، والأسباب ، وهو صـــدى لتفكيرهـــا العلمي والعملي ، لذلك رأيناها تسارع إلى البرهنة على صـــحة مـــا تقول لتقنع المتلقي بصحة ما تذهب إليه من رأي .

قائمة المصادر :

- القرآن الكريم .
- أدب الدنيا والدين ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، حققه وعلق عليه مصطفى السقا ، ط٣ ، ١٩٩٥م، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، د. قيس إسماعيل الأوسي ، منشورات جامعة بغداد ، ١٩٨٩م.
- أشعار النساء ، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤هـ) ، حققه وقدّم له ، د. سامي مكي العاني ، هلال ناجي ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، لسنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
- الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ، مصر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٢ ، ١٩٥٣م ونسخة منشورات دار النهضة .
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الآلوسي ، ضبطه محمد بهجة الأثري ، مصر ، دار الكتاب العربي ، ط٣ ، د.ت .
- التعريفات . للفاضل العلاّمة علي بن محمد الشريف الجرجاني مع فهرست مكتبة لبنان ـ بيروت ، ١٩٦٩ ، لبنان .
- الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام ، د. نضال أحمد باقر الزبيدي ، دار الينابيع ، ط١ ، ٢٠١٠م ، دمشق .
- الحماسة ، للبحتري ، أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت ٢٨٤هـ) تصحيح وتحقيق : الأب لويس شيخو ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧م .
- خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد مهدي الطرابلسي ، تونس ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١م.

- ديوان حُميد بن ثور ، وفيه بائية أبي داود الإيادي ، صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م.
- ديوان معن بن أوس (ت ٦٤هـ) ، صنعة د. نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن ، مطبعة دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٧٧م.
- الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر ، أطروحة دكتوراه ، سلام كاظم الآلوسي ، جامعة بغداد ، كلية التربية ، ٢٠٠٠م.
- سنن أبي داود ، صنعة وجمعه الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني ، علّق عليه فضيلة الشيخ أحمد سعد علي ، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- السيرة النبوية ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ) ، تحقيق منصطف السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م ، مصر .
- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، جمعه ورتبه ووقف عليه بشير يموت ، ط١ ، ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م ، بيروت ـ لبنان .
- شرح ديوان الخنساء ، أبو العباس ثعلب ، قدّم له وشرحه د. فائز محمد ، دار الكتاب العربي ، ط٣ ، ١٩٩٨م.
- شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب لسنة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، حققه وقدّم له إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٤م.
- الشعر الشعبي ، د. حسين نصار ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢م.

- شعر عمرو بن شأس الأسدي ، د. يحيى الجبوري ، دار القلم ، الكويت ، ط١ ، ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م ، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٢م.
- شعر المخضرمات في الجاهلية والإسلام ، جمع وتحقيق ودراسة د. نضال أحمد باقر الزبيدي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ط١،٢٠١١م .
- شعر النابغة الجعدي (ت ٦٥هـ) تحقيق عبد العزيز رباح ، ط١ ، نشر المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ) ، مراجعة سيد علي المرصفي ، مصر ، ١٣٣٢هـ ــ ١٩١٤م .
- علم المعاني تأصيل وتقييم ، د. حسين طبل ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٩م.
- قبيلة ضبة ، أخبارها وأشعارها في الجاهلية وصدر الإسلام ، جمع وتحقيق ودراسة أ.د. عبد اللطيف حمودي الطائي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م.
- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت .
- المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، عبد الله عفيفي ، مطبعة الاستقامة ، د.ت .
- المرأة في الشعر الجاهلي ، د. علي الهاشمي ، مطبعة المعارف ، بغداد، ١٩٦٠م .
- المعاني ، إبراهيم مصطفى وزملاؤه ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٥٤م.
- المعاني الكبير ، ابن قتيبة ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٩٤٩م .
- معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام ، . ليلى ناظم الحيالي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ ، ١٩٩٩م .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد المعروف بابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٩٩٨م .
- مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) تصحيح أحمد سعد علي ، مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط١ ، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، ١٩٦٦م ، تونس .

تشخيص الطبيعة الصامتة في الشعر الأندلسي
(عصر الموحدين)

الدكتورة بشرى عبد عطية
جامعة بغداد– كلية الزراعة

الملخص :

تناول البحث موضوع (تشخيص الطبيعة الصامتة في الشعر الأندلسي – عصر الموحدين) وعرض وحلل النماذج الشعرية التي اختصت به في محورين ؛ تناول الأول : تشخيص الطبيعة الصامتة الطبيعية المتمثلة بالأزهار ، والرياض ، والأنهار ، والسماء بسحابها ، وبرقها ، وشمسها وقمرها ، إذ جعلها الشاعر الأندلسي مشاركة له في إحساسه ، وأضفى عليها الصفات الإنسانية ، والمشاعر فحولها إلى كائن حي يتفاعل مع حالته الشعورية في حزنه وفرحه ، وسلمه وحربه .

أما المحور الثاني فقد خصصته لعرض نماذج من تشخيص الشاعر الأندلسي للطبيعة الصامتة الصناعية ؛ وظهرت فيه براعة الشاعر في بث روح الحياة في مفردات جعلها تعايش إحساسه ، وتعبر عن رؤيته كالدولاب ، والسفن ، والشمعة .

وقد ظهر من خلال البحث أن الشاعر الأندلسي استطاع أن يرى في الطبيعة الصامتة تناسقا عاما يوحدها معه ، فبرز توافق في تشخيصه لها وحالته النفسية ، كما ظهر ارتباط تشخيصه الطبيعة الصامتة بصفات المرأة ارتباطا شديدا سواء في الطبيعة الصامتة الطبيعية أو الصناعية .

المقدمـــة :

التشخيص لغةً :

أشتق لفظ التشخيص من (الشخص) ، وهو ((سواد العين إذا رأيته من بعيد ، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه وجمعه الـشخوص والأشخاص))[١]. والشخوص ؛ السير من بلد إلى بلـد ، أي الـذهاب [٢] ، و((شخص الجرح : ورم)) [٣] ، و ((شخص الإنسان ببصره إلى السماء : ارتفع))[٤] ، وشخص الإنسان ببصره سـاعة المـوت : إذا فـتح عينيـه وجعل لايطرف[٥] ، والشخيص الرجل العظيم ، والـشخص الـضخم[٦]، وشخص الشيء إذا عينه ، وشيء مشخص أي معين ، وأشخص الرامـي إذا حاز سهمه الغرض مـن أعـلاه [٧] ، و((الـشخص كـل جـسم لـه ارتفاع وظهور)) .[٨]

❖ **التشخيص اصطلاحا :**

التشخيص بوصفه مصطلحا نقديا عرف بأنه ((أبـراز الجمـاد أو المجرد من الحياة ، من خلال الصورة بـشكل كـائن متميـز بالـشعور

---

[١] كتاب العين (مادة شخص) .

[٢] ينظر : مختار الصحاح (مادة شخص) .

[٣] كتاب العين (مادة شخص) ..

[٤] م . ن : وتنظر المادة نفسها في لسان العرب ، وتاج العروس .

[٥] ينظر : أساس البلاغة (مادة شخص)

[٦] ينظر : كتاب العين(مادة شخص) .

[٧] ينظر : أساس البلاغة (مادة شخص) .

[٨] لسان العرب (مادة شخص) .

والحركة ، والحياة))[٩] ؛ وتوسع بعضهم فجعله ((نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء تتصف بالحياة))[١٠]

وقد أتخذ الشعراء التشخيص وسيلة من خلالها يتمكنون من ((مخاطبة الطبيعة كأنها شخص تسمع ، وتستجيب في الشعر))[١١] ؛ وبذلك يتفاعلون معها بشكل أكبر لان الطبيعة في الأساس تتسم بمقومات الحياة وان كانت بعيدة عن صفة الشعور، ومن خلاله يضفي الشاعر عليها ما يفتقده فيها .

وأول من شخص الطبيعة في الشعر العربي امرؤ القيس حين خاطب الليل بقوله :

فقلتُ له لما تمطى بصلبه   وأردفَ إعجازا وناء بكلكلِ
ألا أيها الليلُ الطويل ألا انجلي   بصبح وما الأصباحُ فيك بأمثل[١٢]

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن تشخيص الطبيعة ورد في آيات عدة من القران الكريم منه قوله عز وجل ((والصبح إذا تنفس))[١٣].

❖ **تشخيص الطبيعة في الشعر الأندلسي :**

شعر الطبيعة من أبرز معالم الشعر الأندلسي إذ يندر أن نجد شاعرا عاش في الأندلس لم يسحره جمال طبيعتها ، ويشعر بتميزه في العيش بأرض وصفها الشاعر بالجنة حين قال :

---

[٩] المعجم الادبي ، (مادة تشخيص) .

[١٠] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (مادة تشخيص) .

[١١] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (مادة تشخيص) .

[١٢] ديوان امرئ القيس/١٨.

[١٣] التكوير: (١٨) .

يا أهلَ أندلسٍ لله درّكم ... ماءٌ وظلٌ وأشجار وانهار
ماجنةُ الخلدِ إلا في دياركم ... وهذه كنتُ لو خيرّت أختار
لا تحسبوا في غد أنْ تدخلوا سقرا ... فليسَ تُدخل بعد الجنةِ النار[١٤]

وانعكس جمال تلك الطبيعة على نتاجه الفني وانعكس على شخصيته ، وأسلوب حياته التي تميزت بالرقة ، والدعة ، والركون إلى حياة الأنس واللذة فشاع شعر وصف الرياض والأزهار ، ومظاهر الحضارة حتى أنهم أحلوا وصف الطبيعة في مقدمات قصائدهم [١٥] ، كما نظموا مقطعات شعرية أختصت بوصف الطبيعة ؛ من هنا كثر الحديث عن الطبيعة في الشعر الأندلسي ؛ ولعمق العلاقة بين الشاعر والطبيعة لم يكتف بمجرد الوصف ، والتصوير لها بل تطور إلى تشخيص مفرداتها ، واستنطاق مظاهرها متحررا بذلك من دلالات الأشياء كما هي في الواقع ، وجعلها ذات دلالات جديدة[١٦]، فيرى الطبيعة مخلوقا بشريا يتواصل معه ، ويوظف في تجربته التشخيصية عاطفته الشعرية التي تتشبع فيها نفسه بموضوع أو مشاهدة يتأثر بها تأثرا قويا يدفعه إلى إفراغ ما في نفسه عن طريق تشخيصه للأشياء[١٧] .

ومن منطلق إحساسنا أن تشخيص الطبيعة الصامتة أكثر تجسيدا لإبداع الشاعر الأندلسي في فنه فأني سأكتفي به ميدانا لبحثي ، وسأتناوله في محورين :

---

[١٤] ديوان ابن خفاجة / ٩٤.

[١٥] ينظر: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي / ١٩٧ .

[١٦] ينظر: الأسس النفسية للإبداع /٢٩٢.

[١٧] ينظر من بلاغة النظم العربي/٣١.

❖ أولا : الطبيعة الصامتة الطبيعية :

لم يترك شعراء الأندلس مظهرا من مظاهر الطبيعة المحيطة بهم إلا وتناولوه بالوصف ؛ فوصفوا الأرض برياضها وأنواع أزهارها ، كما وصفوا السماء بسحابها ، وبرقها ورعدها إلا أن ذلك لم يعن أنهم كانوا ناقلين لتلك الصور نقلا تقليديا كما تنقل المرآة مشهدا من المشاهد ، فالفنان ((يعب من معطيات الطبيعة ، وصورها كما يلقاها معكوسة في عدسة الذات الإنسانية ، ذات الفنان التي تخصها بأجوائها ، واتجاهاتها ، ورؤياها))[١٨] ؛ فكان إضفاء الشاعر الصفات الإنسانية على مفردات الطبيعة تجسيدا للحالة الشعورية التي يحياها ، وانعكاسا لشخصيته ؛ فالطبيعة التي سنعرض تشخيص الشاعر لها هي الطبيعة التي عكسها على مرآة ذاته ، ملونا إياها بألوان خاصة مستمدة من شخصيته ومزاجه[١٩] .

لقد أكثر الشاعر الأندلسي في تشخيصه للطبيعة من ذكر الرياض وأنواع الورود والثمار ، وجعل احتفاءه بالربيع مدخلا سلسا في وصف الطبيعة ، فهو زائر يستحق التحية لما يصحبه من مناظر جميلة ، يقول أبو الربيع :

حيِّ الربيع بما وشت أزاهره ونظمت من أكاليل على الشجرِ
ودبجت فوق متن الروض من حلل ونمقته بألوان من الزهر من نرجس
ساحر الألحاظ ذي غنج ومن أقاح نقي الثغر ذي أشر
هذا يضاحك وقع الطل عن شنب وذا يلاحظ عطف النهر عن حور

---

[١٨] الفن والأدب ، بحث جمالي /٣٦.

[١٩] ينظر : وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي /١٦.

بما تضوع روض الزهر غب حيا تأكد الشكر للنعمى على البشر
لا يحسب الناس أن الروض فاح لهم طوعا ولكنه يثني على المطر [٢٠]

فالشاعر أضفى على الروض الذي تلون بمقدم الربيع صفات الجمال المادية والمعنوية المعروفة للمرأة في الشعر العربي ، فشخص النرجس بفاتنة ذات ألحاظ ساحرة متغنجة تضاحك الطل يقابلها الأقاح نقية الثغر ذات حور تلحظ النهر ، ويزيد من أفعام الصورة بالحياة تلك الأفعال التي نسبها الشاعر إلى الأزهار (وشت ، ونظمت ، ودبجت ، ونمقت) فهي فضلا عما اتسمت به من رقة ، وطرافة تظهر أسلوب الأندلسي في تشخيص الأزهار ، ويختم الشاعر لوحته بأن جعل للروض لسانا يثني به على المطر كما يثني هو على ممدوحه ، فجعل من ذاته معادلا موضوعيا للروض ، ومن ممدوحه المطر بما يمثله من كرم وعطاء .

وحرص الشاعر بتشخيصه الأزهار على تجسيد محاسنها ، وإسباغ الصفات الحسية التي تتناسب مع شكلها ، ولونها فالطبيعة لها ((سحر يفوق كل سحر ، ولها سلطانها على الإنسان ، وقدرتها على تحرير ذاته من قيود الحياة))[٢١] ؛ فهذا الشاعر أبو الحسن حازم يرى الوردة البيضاء حسناء رغبت في الشرب ، فامتدت لها يد السماء بكأس مائها المزن ، والبرق غدا خادما لحسنها ، فيقول :

ومُبيضّة الأثواب تُدعى بوردة تَقلّ لها الأشياه عند التماسِها

---

(٢٠) ديوان الأمير ابي الربيع /٧١ ، وينظر : ديوان ابن سهل /١٩٩ .

(٢١) الأدب وقيم الحياة المعاصرة / ٤٠٥.

أنافت على ساق لتشرب عندما   أشارت لها كف البروق بكأسها[٢٢]

ويبدو أن تشخيص الزهور وتحويلها إلى كائن حي كـــان اتجاهـــا غلب على شعراء الأندلس ، ومن ذلك نجد تشخيص ابن الابار للخيـــري ، وعرضه لصفاته التي أثرت في نفسه ، ماجعله يصفه بالأديب ، بقوله :

لكَ الخيرُ أمتعتني بخيري روضة   لأنفاسه عنـــد الهجـــــوع هبـــوبُ
أليسَ أديبُ النـــور يجعل ليلـــه   نـــهارا فيذكـــو تحتـــه ويطيـــــبُ
ويطوي مع الأصباح منشور نشره   كما بان عن ربـــع المُحب حبيـــبُ
أهيم به عـــن نسبـــة أدبيـــــــة   ولا غرو أن يهوى الأديب أديبُ[٢٣]

ويعتمد التشخيص على الخيال الـــذي يـــرتبط بالعاطفـــة ، وهـــذا الارتباط هو الذي يوفر للشاعر المقدرة على بث روح الحياة في الطبيعـــة المحيطة به ، فالخيال هو((عملية إسباغ وصبغ ، إذ يسبغ الأديـــب علـــى المشهد مشاعره وتصوراته الذهنية ، ويصبغه بلون نفسه ، وتتحد به فـــي مساق انفعاله اتحادا يتيه به في رحلة وهمية تشبه الحلم))[٢٤] ؛ لكنه حلـــم يشخص فيه الشاعر المفردات ، فابن سهل منح السوسن يدا يـــصافح بهـــا الورد ، وثغرا يقبل منه الخد الخجول بقوله :

الأرضُ قد لبست ِرداءً أخضرا   والطلّ ينثر في رباها جوهـــرا
هاجت فخلت الزهر كافورا بها   وحسبت فيها الترب مسكا أذفرا

---

[٢٢] اختصار القدح/٢١.

[٢٣] ديوان ابن الابار /٧٠ .

[٢٤] الكامل في النقد الأدبي /١٢٥.

وكأن سوسنها يصافح وردهـا   ثغرٌ يقبل منه خدا أحمـــرا[٢٥]

نلاحظ أن الشاعر لم يكتف بتشخيص الطبيعة ،بل أمتـد إبداعـه ليبرز انعكاس آثار هذا التشخيص على النفس الإنسانية جاعلا مـن ذاتـه الأنموذج الذي تظهر عليه آثاره ، فالشاعر أشار إلى أكثر من حاسة مـن الحواس تلتقط انعكاسات التشخيص ، فأبرز دور حاسة الشم مـن خـلال الألفاظ (كافور ، وأذفر) فضلا عن حاسة البصر.

ويبدو أن الشعراء اختاروا التشخيص ليبـرزوا عمـق علاقـتهم بالطبيعة لان ((تدفق العاطفة إلى الخارج في عالم الطبيعة ، وتعمقها فـي عقل الإنسان هو كشف عن الروابط المعقدة بين الإنسان والطبيعـة))[٢٦] ، وهذا ما انعكس في قول ابن الابار :

أسرى إلى النسرين يُرضعه الندى   ويهب طرف النرجس الوسنانا
وحبا العـرار بصفـرة ذهبيـة   راعـت فتـاة بكـمها فتانـا
ودقٌ تولـد عنـه وقد الربـى   لأزاهر طلعـت بـها شهبانـا
ياحبذا خضـل البهـار منافحـا   بأريـجه الخيـري والريحانـا
والآس يلتثم البنفسـج عارضـا   والياسمين يغازل السوسانـا[٢٧]

أظهر الشاعر عمق ارتباطه بالطبيعة فألفاظ (يرضـعه النـدى ، والآس يلتثم البنفسج ، والياسمين يغازل الريحان) شـخص الـشاعر مـن

---

[٢٥] ديوان ابن سهل/١٦٣.

[٢٦] الصورة الشعرية / ٧٠-٧١ .

[٢٧] ديوان ابن الابار/٣١٣ .

خلالها الطبيعة بمجتمع محبين تسوده أجواء الحب ، وهو أسلوب تميز به الأندلسي .

أما الشاعر صفوان بن إدريس فقد جعل مفردات الطبيعة شخصيات أجاد في رسمها والتعبير عن نفسه المحبة من خلال وصف الحركات ، وإضفاء عنصر الحوار في أجواء من الحب ، والتفاعل بين أطراف الصورة ، بقوله :

وبدت ثغور الياسمين فقبلت	عني عذار الآسة الميساء
وكأنما جاء النسيم مبشرا	للروض يخبره بطول بقاء
فكساه خلعة طيبة ورمى له	بدراهم الأزهار رمي سخاء
وأفترّ ثغر الأقحوان بما رأى	طربا وقهقه منه جري الماء [٢٨]

وشيوع مجالس الشرب في الأندلس أثرى ظاهرة التشخيص لمفردات الطبيعة التي لها صلة بمجالس الندامى فالشاعر عد تلك المفردات شريكة له في مجلسه ، وأضفى عليها ما منحها روح الحياة ، يقول أبو القاسم احمد بن يامن :

رنت نحوكم مُقلُ النرجس	وأمست تُشير إلى الاكؤاس
وقد حّد الآس آذانه	ليسمع ما دار في المجلس
واخجل تفاحها وآغتدى	يروم الكلام ولم ينبس
وقد باح أترُجَها بالهوى	وظاهره بالضنى مُكتسى
وماس الترنجان في حُلة	تروق العيون ولم يقبس

---

[٢٨] من ديوان الشعر العربي (ديوان صفوان بن إدريس)/١٦٢-١٦٣، وينظر: م.ن/٢٠٥.

وزنبوعها بعضه مثل مـــا نظرت إلى الذهب الأملـــس
وقد ضحكت بيننـــا اكؤس فوجـــه الدجـــنة لم يعبـــس
فيا ضارب العُود حثّ الغنا ء ويا ساقي الكأس لا تحبس [٢٩]

برز إبداع الشاعر في توالي الصفات التشخيصية التي حشدها في أبياته ، وهو يصف مجلس انس وطرب شاركته فيه الطبيعة ، فتفاعل معها وجدانه ، وألبسها ثوب الحياة ، ولم يغادر عنصرا إلا وشخصه ، فالنرجس عيناه ترنو الكؤوس بنظرات لهفة وتشوق ، والآس ينصت إلـــى أحاديـــث المجلس تلك الأحاديث التي أخجلت التفاح وعجز عن مجاراتها ، ولأنـــس المجلس آخذ الترنجان يميس طربا في روضة تبهج القلب والعـــين حتـــى ضحكت لها الكؤوس ، وتبسم الظلام ؛ كل ذلك تعبيرا عن ســـروره،الذي دفعه للإبداع في تشخيص الطبيعة بهيئة المرأة الجميلة فجعل لهـــا مقـــل ، وخجل عند السماع ، وحياء عند الكلام ، وذلك إظهارا منه لارتباط جمال الطبيعة لديه بجمال المرأة ما دعاه إلى تشخيص الطبيعة بصفاتها.

وللحالة الشعورية التي يعيشها الـــشاعر لحظـــة إبداعـــه أثرهـــا في نظرته للطبيعة لأن مهمة الشعر هـــي التعبيـــر عـــن ((العواطـــف ، والانفعالات ، وإثارة المشاعر والتأثير في السلوك الإنساني)) [٣٠] ؛ لـــذا فقد تغلب ألفاظ من حقل دلالي معين على لغة الشاعر ، فهذا أبـــو الوليـــد الشاطبي سكن الحزن نفسه فحاور نديمه مشخصا الطبيعة بأوصاف كلهـــا حزن وشجن فيقول :

---

(٢٩) اختصار القدح / ٥٤ .

(٣٠) دور الكلمة في اللغة / ٩٢ .

هات المُدام وقد ناح الحمام علـــى هذا الظلام وجيش الصبح في الطلبِ
لا استفيقُ من اللذات آونــــــة ما اهتزّت القضب في مخضرة العذبِ
والكأس حلتها حمراء مذهبــــة لكــن أزرتهــــا من لؤلؤ الحُجـبِ
إن تهت بالشمس يا أفق السماء فلي شمسان : وجه نديمـي وابنــة العنبِ
قم سقنيها وثغر الصبح مبتســم والليل تبكيه عين البـدر بالشهـــبِ
والسحب قد لبست سود الثياب وقد قامت لترثيه الأطيار في القضبِ.[31]

في حين نجد الشاعر مرج الكحل يشخص الطبيعة على وفق حالته الشعورية التي عايشته الطبيعة فيها ، فيقول :

طَفلَ المساء وللنسيم تضـــوّع والأُنس ينظم شملنا ويجمــــعُ
والزهر يضحك من بكاء غمامة ريعت لشيم سيوف برق تلمـــعُ
والنهر من طرب يصفق موجه والغصن يرقص والحمامةُ تسجعُ[32]

نلاحظ أن الشاعر عكس حالة الفرح والسرور التي تملكته علـــى تشخيصه الطبيعة ، فالزهر الذي يضحك أكثر تأثيرا من بكاء الغمامـــة ، والنهر يصفق بأيديه – الموج – فرحا ، ويتفاعل معه الغـصن بـالرقص والحمامة بالســجع ؛ وفي استحضار الشاعر عنصر الحركة ، والتفاعـل في تشخيصه دليل ((وعي جمالي ، وفكري يقود الصورة الشعرية إلـى مزيد من الإبداع اللغوي – الجمالي– في أطار أسلوبية مغايرة موسـومة بالإدهاش ، والطرافة ، وبث روح الحياة في الجماد)) .[33]

---

[31] اختصار القدح / ٢٠٨ .

[32] من ديوان الشعر العربي (ديوان مرج الكحل) /٢٧٠-٢٧١.

[33] الاستعارة في التراث البلاغي والنقدي عند العرب/١٢٠.

وكان للحياة السياسية أثرها في تشخيص شعراء الأندلس للطبيعة إذ شخصوها متأثرين بالظروف السياسية ، والعسكرية التي كانت الأندلس تمر بها كاشفين بذلك عن قدرتهم على توظيف التشخيص بما يظهر الطبيعة بشكل جديد ، فهي تتأثر ، ويتفاعل معها الشاعر حين يشخص مفرداتها ، يقول أبو الربيع :

بين الرياض وبين الجو معترك بيض من البرق أو سمر من السمرِ

إن أوترت قوسها كف السماء رمت نبلا من المزن في درع من الغدرِ

فتح الشقائق جراحاها ومغنمها وشي الربيع وقتلاها جنى الثمرِ

فأعجب لحرب سجال لم تثر ضررا نفع المحارب فيها غاية الظفر

من أجل هذا إذا ذهبت طلائعها تدرع النهر واهتزت قنا الشجر[٣٤]

فالشاعر شخص مفردات الطبيعة المحيطة به لا كما تعودت عينه أن يراها ، وكما هي في الواقع المادي المحسوس أو ما اعتاد عليه من إضفاء الحس الإنساني الرقيق في تشخيصه ، وإنما كان للحالة النفسية التي يعانيها جراء الاضطراب السياسي أثره في استعماله لألفاظ (معترك ، والسمر ، والقوس ، والنبل ، والدرع ، والجراح ، والقتلى ، والحرب ، والمحارب) فدل على شدة ارتباط الشاعر بالطبيعة حين أشركها في حالته الشعورية ، وتغيرت صورتها في عينيه ، فجو المطر الذي يبهج النفس ، ويبعث الحياة غدا معتركا ، والروض ساحة حرب حافلة بالأسلحة ، وشقائق النعمان بروعة منظرها أبصرها جراحا ، والثمر الذي تزهو به الأغصان شخصه بالجند القتلى ؛ كل ذلك يظهر أن الشاعر عكس

---

[٣٤] ديوان الأمير أبي الربيع/١٤٠ ، وينظر : م .ن /٧٠.

انفعالاته من العالم الخارجي في عمليته التشخيصية ، فالشعر ((يحيي هذه السمة المجازية ويجعلنا على وعي بها)) [35] ، وهذا ما جسدته مجازات ابن الابار بقوله :

والريحُ تركضُ سبقا من خيلها   في روضة رحبت لها ميدانا
هَوجاء تستشري فيلقح مَدها   هيجاء تنتج حبرة وأمانا
حربا عهدت أزاهرا ومزاهرا   أوزارها لا صارما وسنانا[36]

نجد أن الشاعر تأثر في تشخيصه للطبيعة بحالة الحرب الدائمة التي كان يحياها الأندلسيون في عصره ، وتمثل هذا التأثير بألفاظ (الخيل ، والميدان ، والهيجاء ، والحرب ، وصارما ، وسنانا) التي غلبت في قوة دلالتها وإيحاءاتها تلك التي تشير إلى الطبيعة الجميلة كـ(الريح ، والروضة ، وحبرة ، ومزاهر) .

وكان تشخيص الطبيعة مجالا للشاعر يعرض من خلاله تجاربه الحياتية ، ويشير إلى علاقة حميمة معها ، فالطبيعة تجسدت في تشخيصها شريكة حياة للشاعر متلائمة مع مزاجه وإحساسه ، يقول مرج الكحل :

نَهرٌ يهيم بحسنه مَنْ لم يهم   ويَجيد فيه الشعر من لم يَشعُر
ما أصفرّ وجه الشمس عند غروبها   إلا لفرقة حُسن ذاك المنظر[37]

---

[35] نظرية الأدب/29.

[36] ديوان ابن الابار /313 .

[37] من ديوان الشعر العربي (ديوان مرج الكحل) / 267 ، وينظر : أبن مرج الكحل حياته وشعره/58.

منح الشاعر الشمس من رقة الإحساس ، وولع بمنظر عشقه مـا جعل اصفرارها عند الغياب علة فـراق ، فـي حـين نجـد الرصـافي البلنسي كان أكثر توفيقا في تشخيـصه للـشمس حـين مثلهـا بالمحـب المشتاق ، بقوله :

وعشي رائق منظــره	قد قصرناه على صرف الشمول
وكأن الشمسَ في أثنائهِ	ألصقت بالأرض خداً للنزول[٣٨]

ويمضي في تشخيصه ظواهر الطبيعة فيجعل من الليل إنسانا تمتع بزهو المنظر حتى شرب ضوء النهار بقوله :

والصّبا تَرفع أذيال الرّبى	ومحيا الجو كالسيف الصقيـل
حبّذا منزلنـا مغتبقـا	حيثُ لا ينظرنا غير الهديـل
طائر شاد وغصن منثـن	والدجى يشرب صهباءَ الأصيل[٣٩]

ومثلما شخص شعراء الأندلس الرياض والأزهار ، والثمار فهم كذلك التفتوا إلى مظـاهر الطبيعـة كـالمطر ، والـشمس ، والقمـر، الليـل والنهار ، ليشخصوها بصفات إنسانية تتناسب مع إيحائها في نفس الشاعر ويبعثوا فيها الحياة ، فالمطر الذي يبعث الحياة فـي الأرض ألتفـت إليـه الشاعر بتشخيص ما يصحبه من مظاهر وما ينتجه من حياة ، فالبرق يثير في نفسه شوقا لأحاديث الأحبة فيلتفت إليه ويطالبه بـان يكـون محدثـه عنهم ، يقول :

---

[٣٨] ديوان الرصافي البلنسي / ١٢٣ .

[٣٩] م .ن /١٢٣.

يابرقُ طارحني أحاديثهـــــــم فهات تطويلا وهاك اختصارا[٤٠]

أما الشاعر صفوان بن إدريس فقد جعل البرق رسولا يبلغ أحبتــه شوقه لهم ، وينوب عنه بالبكاء ، ويجزيه عن هذه الخدمة الجليلة بالــدعاء له بالأجر ، فيقول :

لعل رسولَ البرق يغتنم الأجرا فينثر عني ماء عبرته نثرا [٤١]

وارتبط بالمطر تشخيص الشاعر للروض بالضحك ، وللجو بالبكاء والعبوس ، يقول أبو الربيع :

الجو يبكي بدموع سجــام والروض يبدي عند ذاك ابتسام[٤٢]

والشاعر علي بن موسى في تشخيصه للبرق وجو المطر استحضر جمال المرأة ، بقوله :

أدر كؤوسك أن الأفق في عرس وحسبنا أنت ترعــى حسنك المقــل
البرق كف خضيب والحيا درر والأفق يجلى وطرف الصبح مكتحل[٤٣]

ومن ملامح تطور العملية التشخيصية توظيف تشخيص الطبيعة في شعر الرثاء ، وإضفاء الصفات الإنسانية من حزن ، وأسى عليها تعبيــرا عن حزن الشاعر كما في قول ابن سهل :

وخلفت ثكلى لا تكف جفونهـــــا بكاءً ولا يَندى جوانحها غمــــا
تنوحُ لها الأطيار في القضب رقة ويذري عليها المزنُ أدمعه رحما

---

[٤٠] آثار أبي زيد الفازازي/١٢٣،وينظر:م . ن/١٢٤،١٠٣.

[٤١] من ديوان الشعر العربي (ديوان صفوان بن إدريس) / ١٩٠.

[٤٢] ديوان الأمير أبي الربيع / ٥٧ ، وينظر : م . ن / ١٠٥.

[٤٣] المغرب في حلى المغرب :ج ٢ / ص ١٧٨.

ولاحَ أصيلُ اليوم بعدك شاحبـــا وريح الصّبا معتلة تشتكي السقما[٤٤]

فأشرك الشاعر الطبيعة في حالة الحزن على فقيده ، فالطير تنوح مع الزوجة الثكلى ، والمزن ينزل دمعه رقة لحزنها علـــى فقيـــد اعتلـــت الريح ، وشحب الأصيل لفراقه ، فغـــدت الطبيعـــة أحـــد أفـــراد العائلـــة المفجوعة ، ويتكرر تشخيص الشعراء للسماء بالعيون الباكية وهم ينعـــون أحبتهم ، يقول أبو الربيع :

نعى المجد ناع فأبكـــى السما وأسبل دمعا لها عندمـــا*[٤٥]

نعى أطيب الناس جرثومـــة وخير ملوك الدنا منتمـــى

نعى قمر السعد بـــدر العـــلا فعاد النهار لنا مظلمــــا

ولـــو مـــد لـــيلا بـــه صوته رأيت الدجى ينثر الأنجما[٤٦]

ثانيا : الطبيعة الصامتة الصناعية :

شخص الشاعر الأندلسي مفردات الحضارة التـــي أبـــدعتها يـــد الإنسان، وغدت جزءً من حياته ، فتفاعل معها وشخصها ، ومنها الدولاب إذ كان رفيق جلسات الأنس ،ونديم السهر من هنا شخص الشاعر صوته ، وهيأته ، وحركاته بما أتفق وحالته الشعورية التي عاشها بصحبته ، يقول ابن الابار:

ياحبـــــــذا بحديقـــــة دولاب سكنت إلى حركاته الألبـــــاب

غنى ولم يَطرب وسقى وهو لم يشرب ومنه اللحن والأكواب

---

[٤٤] ديوان ابن سهل الأندلسي/١٩١.

[٤٥] ديوان الأمير أبي الربيع /٤٢.

[٤٦] عندما : لون أحمر .

لويدعي لطف الهواء أو الهوى ما كنت في تصسديقه ترتاب
للعود محتده ومـــل ضلوعـــه لإغـــاثة الشجر اللهيف رياب
وكأنه ممـــا ترنـــم ماجـــــن وكـــأنه مما بكـــى أواب [٤٧]

فالشاعر أغنى تشخيصه الدولاب بعنـــصر الحركـــة والـــصوت والتفاعل مع محيطه ، وجعله إنسانا يغني ويسقي ضـــيوفه مـــشبها إيـــاه بالماجن في حركاته ، والزاهد بصوته الحزين ، وبذلك يظهر أن للحالـــة النفسية التي يعيشها الشاعر في أثناء نظمه الشعر أثرا كبيرا فـــي توجيـــه استعاراته ؛ لأنه حين يعمد إلى تشخيص شيء ما فانه بذلك يمارس فعـــلا أساسه نمط معين من التوتر النفسي المصاحب لمجموعـــة مـــن الـــصور والتخيلات التي ينظمها[٤٨] ، وذلك ما نجده في تشخيص الرصافي البلنسي للدولاب ، بقوله:

وذَي حنين يكاد شَجــوا يختلسُ الأنفسَ اختلاسا
إذا غدا للرياضِ جـــارا قال لها المحلُ لا مساسا
تَبسم الزهرُ حين يبكـــي بادمـــع ما رأين باســـا
من كُل جفن يسل سَيفـــا صارَ لها غِمده رَئاسَا[٤٩]

شخص الشاعر الدولاب بصفة الحنين وهو بذلك منحه الإنسانية ، وعمق وصفه حين جعل منه جارا للرياض ، وشخص ما يحيط به فالزهر يبتسم من بكائه ، وروح الحياة تبرز من خلال الصور المتقابلة .

---

(٤٧) ديوان ابن الابار / ٦٥ ، وينظر : م . ن/٦٢ .

(٤٨) ينظر : نظريات معاصرة في تفسير الأدب ، النظرية والتطبيق / ١١٤.

(٤٩) ديوان الرصافي البلنسي / ١٠٢.

ويتكرر تشخيص الشاعر الأندلسي للدولاب بالعاشق الذي ينسكب دمعه شوقا لمحبوبه ، لكنه دمع متميز فهو يسلي من حوله ، ولا ينفد ، يقول أبو زيد عبد الرحمن النجاري :

وباكية تبكي فيسلي بكاءها   وما كل من يبكي إذا بكى يسلي

فيا عجبا ينهل واكف دمعها   سريعا وإن كانت تدور على رسلِ

تسلسل منها الماء من كل جانب   فحيلتها من عبرة الصب تستملي[٥٠]

وإذا كان الشعراء قد وقفوا عند تشخيص صوت الدولاب ، وكان أصدق توصيف له ذلك الذي التفتوا فيه إلى صوته الحزين ، فأن منهم من تجاوز الصوت إلى الهيئة والحركة ، ومن ثم الصوت وعكس ذلك كله في تشخيصه الدولاب بحنين يذكرنا في تعبيراته بحنين الأم ، يقول أبو عبد الله بن الحسين :

ومحنية الأصلاب تحنو على الثرى   وتسقي بنات الترب دمعَ الترائب

وأطربها رقص الغصون وذابلا   فدارت بأمثال السيوف القواضبِ

وما خلتها تشكو بتحنانها الصدى   وما بين متنيها اطّراد المذانبِ

فخُذ من مجاريها ودهمة لونها   بياض العطايا في سواد المطالبِ[٥١]

والسفن من مفردات الطبيعة الصناعية التي تعايش معها الأندلسي وشخصت في شعره بصفات إنسانية جعلتها في عينه ابنة الماء ، يقول ابن الابار:

---

[٥٠] زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر / ٣٩.

[٥١] المغرب في حلى المغرب : ج ٢ / ١٦٩ .

بنات الماءِ حاملة كُمـــاة بأهل النار سطوتها العياء[٥٢]

أما الرصافي البلنسي فكان تشخيصه السفينة مستوحىً من صفات المرأة ، فأشرعتها تراءت له غدائر مسدولة ومضفورة وهي تغري المياه بحركاتها حين تداعبا الرياح ومن ثم شخصها بالعذراء في جمالها وبهائها ، يقول :

ذو المنشآتِ الجواري في أجرتها شـكلُ الغدائر في سدل وتضفير
أغرى المياه وأنفاس الرياح بهـا ما في سجاياها من لين وتعطيـر
من كل عـذراء في تـرائبهـا ردعان من عنبر ورد وكافور [٥٣]

والشاعر عمد إلى تشخيص ما يحيط به من مفـردات ويستشعر الحياة فيها ومن ثم يشخصها على وفق إحساسه وما تثيره في نفسه ، مـن هنا كانت الشمعة في عين ابـن الابـار تعـاني الآم المحـب وتتـصف بصفاته ، يقول

وصفراء في لون المحب وحاله تقوم بأنس النفس في وحشة الدجى
إذا اضطرمت نيرانهـا انهل دمعهـا فلا فرق إلا أنها تحمد الشجا[٥٤]

ويبدو أن الشمع في الأندلس كان باللون الأصفر ، وذلك يظهر من تكرار الشعراء لتشخيص الشمعة بالعلة ، والنحول لكن ذلك لم يمنع الشاعر من رؤيتها قوية تحارب جيوش الظلام ، يقول أبـو عثمـان سـعيد بـن حكم القرشي :

---

[٥٢] ديوان ابن الابار / ٤٨ ، وينظر : م . ن / ٤٢ .

[٥٣] ديوان الرصافي البلنسي / ٨١ .

[٥٤] ديوان ابن الابار / ١٠٩.

وصفراءَ من غير ما علـــــة	لها أدمـــــع أبدا سائلـــــه
تُطيل الوقوف على واحـــــد	مدى ليلها فترى ناحلـــــه
تزيد على الشمس في نورها	إذا ما غدت للدجى واصله
تُحارب دأبا جـــيوش الظلام	فتبصر مقتولة قاتلـــــه[٥٥]

أما الشاعر أبو القاسم فقد كان تشخيصه الشمعة أنموذجا لأســـلوب الشاعر الأندلسي في رقة أوصافه ، وحسية تعبيراته إذ شخصها بـــالمرأة المحبة التي نطقت بآلامها ، وشكت تغير حالها ، وهي تجمع شمل الأحبة وتشكو تغير حالها ، بقوله :

عُريانةً وثيابها في جوفهـــــا	لكنها عنـــد الصباح تُطلـــقُ
تفني الدياجي وهي فانية بهـــا	وبمائها أيـــان تُشرِق تَشْرَقُ
ما حقها إذا جمعت شمل المنى	أن يغتدى مثـــل لها يتفـــرقُ
قامت خطيبة تشتكي بخطوبها	وبنقلة الحالات أمست تنطق[٥٦]

وفي الختام نجد أن الشاعر الأندلسي قد اندمج مع الطبيعة بـــشكل كامل حتى غدت في عينه كائنا حيا لـــذا بـــرع فـــي إضـــفاء الـــصفات الإنسانية عليها .

النتائـــج

١) استطاع الشاعر الأندلسي أن يرى في الطبيعة تناســـقا عامـــا يوحـــدها مـــع الإنسان ، فيخلق وفاقا بين عقل الشاعر وروحه ، وحالته النفسية.

---

(٥٥) اختصار القدح/٣٢.

(٥٦) م ن /٥٤.

٢) قدرة الشاعر على استعارة الكلمات من حقل دلالي إلى آخر وهو ما اتضح في تشخيص الشاعر الأندلسي الطبيعة ، فهو يستعير عن مفردات المعارك ليصف منظرا كما يوظف الفاظا تختص بجمال المرأة في تشخيصه للطبيعة الصامتة الطبيعية والصناعية.

٣) كان من ملامح تطور العملية التشخيصية أن وظف الشاعر تشخيص الطبيعة الصامتة في شعر الرثاء ليعبر من خلال استنطاقها عن شدة حزنه.

٤) برز تأثير الحالة الشعورية التي يمر بها الشاعر في طبيعة الصفات التي يشخص بها الطبيعة ، فتارة كانت ألفاظه تعبر عن عواطف الحب وتجسد مجتمع المحبين ، وتارة أخرى كان لأجواء الاضطراب السياسي والمعارك وجود بارز في تشخيصه للطبيعة.

المصادر

القرآن الكريم

١- آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي (٦٢٧هـ) نصوص أدبية من القرن الهجري السابع ، جمعها بعض تلامذته في حياته ، تقديم وتحقيق ، عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار قتيبة للطباعة والنشر – دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٩١م .

٢- اختصار القدح المحلى في التاريخ المعلى ، لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى (٦١٠- ٦٨٥هـ) أختصره ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل ، تحقيق ، إبراهيم الابياري ، دار الكتاب اللبناني – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

٣- الأدب وقيم الحياة المعاصرة ، الدكتور محمد زكي العشماوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – فرع الإسكندرية – مطابع عابدين – إسكندرية ، ط ٢،١٩٧٤ م .

٤- الاستعارة في التراث البلاغي والنقدي عند العرب ، فاضل عبود خميس التميمي ، أطروحة دكتوراه مطبوعة بالآلة الكاتبة ، كلية التربية – الجامعة المستنصرية ١٩٩٥م .
٥- أساس البلاغة ، الإمام جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق نعبد الرحيم محمود ، عرف به ، أمين الخولي- طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٣م .
٦- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، الدكتور مصطفى سويف ، دار المعارف بمصر،ط ٢ ،١٩٥٩م.
٧- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان ، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر ، ط ١٣٠٦،١هـ .
٨- دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمه وقدم له وعلق عليه ، الدكتور كمال محمد بشر ، الناشر ، مكتبة الشباب – مصر ، ط١٩٧٢،٢.
٩- ديوان ابن خفاجة ، شرح ، دكتور يوسف شكري فرحات ، دار الجيل – بيروت (د.ت) .
١٠- ديوان الأمير أبي الربيع سليمان ألموحدي (ت ٦٠٤هـ) تحقيق ، محمد بن تاويت الطنجي ، ومحمد بن العباس القباج ، واسعد أعراب ، ومحمد بن تاويت التطواني ، بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي -- المغرب- (د.ت) .
١١- ديوان ابن الابار (ت ٦٥٨هـ) ، تحقيق ، عبد السلام الهراس ، الدار التونسية للنشر – ١٩٨٥م.
١٢- ديوان ابن سهل الأندلسي (ت٦٤٣هـ) ، قدم له الدكتور إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ١٩٨٠م.

١٣- ديوان امرىء القيس (ت ٥٤٠م) ، تحقيق ، محمد أبي الفضل إبـــراهيم ، ذخائر العرب ، دار المعارف - مصر ، ط ٣ ، ١٩٦٩م .
١٤- ديوان الرصافي البلنسي ، عبد الله بن غالب (ت٥٧٢هــ) ، جمعه وقدم له ، د.إحسان عباس ، دار الثقافة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٠م .
١٥- زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، أبو بحر صـــفوان بـــن إدريـــس التجبي (ت٥٩٨هــ) ، تحقيق ، عبد القادر مقداد ، دار الرائد العربـــي ، بيروت ١٩٨٣م.
١٦- الصورة الشعرية والبلاغة ، الدكتور صـــبحي البـــستاني ، مجلـــة آفـــاق عربية ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، ع ١٢، ١٩٨٧م .
١٧- الفن والأدب بحث جمالي في الأنواع والمدارس الادبية والفنية ، الـــدكتور نيشال عاصي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنـــشر والتوزيـــع ، بيروت ، ط ٢ ،١٩٧٠م .
١٨- كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـــــ) تحقيق ، الدكتور مهدي المخزومـــي ، والـــدكتور إبـــراهيم الـــسامرائي ، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، طباعة شركة المطابع النموذجية ، عمان - الأردن ، ١٩٨٢ م .
١٩- الكامل في النقد الأدبي ، كمال أبو مصلح ، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر ، بيروت ط٥ ،،١٩٨٣م .
٢٠- لسان العرب ، العلامة ابن منظور(ت٧١١هــ) ، معجم لغوي علمي ، قدم له ، العلامة الشيخ عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف ، يوســـف خيـــاط ، ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب ، بيروت (د.ت).
٢١- مختـــار الـــصحاح ، محمـــد بـــن أبـــي بكـــر عبـــد القـــادر الـــرازي (ت٦٦٦هــ) ، الناشر ، دار الرسالة الكويت ١٩٨٣م .

٢٢- مرج الكحل حياته وشعره ، د.فوزي عيسى ، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية (د.ت) .
٢٣- المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، ط ١،١٩٧٩م .
٢٤- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس ، طبع في لبنان ١٩٧٩م.
٢٥- المغرب في حلى المغرب ، حققه وعلق عليه ، شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط ٤ ، ١٩٩٥.
٢٦- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي (دراسة موضوعية فنية) د.هدى شوكت بهنام ، دار الشؤون الثقافية – بغداد٢٠٠٠م .
٢٧- من بلاغة النظم العربي ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، عالم الكتب – بيروت ، ط١٩٨٤،٢م .
٢٨- من ديوان الشعر العربي (ديوان صفوان التجيبي ، وديوان ابن مرج الكحل) نجمع وتحقيق ودراسة ، دكتور محمد سالمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ٢٠٠٧م .
٢٩- نظرية الأدب ، أوستين وارين ورينيه ويلك ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ترجمة محيي الدين صبحي ، مراجعة الدكتور حسام الخطيب ، ط١٩٦٢،٣م .
٣٠- نظريات معاصرة في تفسير الأدب ، النظرية والتطبيق ، الدكتور سمير سعد حجازي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط٢٠٠١،١م .
٣١- وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي ، محاضرات ألقاها الدكتور محمد النويهي على طلبة قسم الدراسات الأدبية ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٧م .

قريش ودورها في التجارة الداخلية والخارجية لجزيرة العرب والبلدان المجاورة لها

الدكتورة خلود مصطفى خماس

معهد الادارة – الرصافة

هيئة التعليم التقني

الملخص :

كما في شبه جزيرة العرب مدن متعددة ذات نفوذ ديني واقتصادي فضلا عن موقعها الجغرافي ، وكانت مكة قد كسبت النفوذين عند القبائل العربية ، وذلك لوجود بيت الله الحرام فيها ، وقد أدت قريش دورا مميزا في التجارة وتطور إقتصاد مكة وتوطيد علاقتها مع القبائل العربية الاخرى في البلدان الجاورة ، وقد قسمت الدراسة الى ثلاثة مباحث : تناول البحث الأول مكانة مكة التجارية ودور قريش فيها ، أما المبحث الثاني فقد تناول ايلاف قريش ودوره في السيادة التجارية ، واشار المبحث الثالث الى تجارة قريش الداخلية والخارجية .

المقدمة :

كانت في شبه الجزيرة العربية مدن متعددة ذات نفوذ واهمية من حيث المكانة الجغرافية او المكانة الدينية والاقتصادية ، ومن هذه المدن التي اشتملت على المكانتين معا «مكة» المكرمة فقد اكتسبت مكانة دينية مهمة عند القبائل العربية بشكل عام وذلك لوجود بيت الله الحرام فيها ، هذا فضلا عن الاهمية التجارية التي تتميز بها لوقوعها على طريق التجارة الغربي ولهذه الاسباب مجتمعة اتصفت باهميتها الكبيرة من الناحيتين

التجارية والدينية ، وقد أدت قبيلة قريش دورا كبيرا في انتعاش الحياة التجارية ونموها في مكة المكرمة وتطوير اقتصادها وتوطيد علاقاتها مع القبائل العربية الاخرى في الجزيرة العربية ومع البلدان المجاورة لها وعقد الاحلاف معها.

ويشير القران الكريم في بعض آياته الى وجود مستوى راق في مكة المكرمة واماكن اخرى للحياة التجارية وتدل على تنسيق عمل منظم بين التجار في مكة وخارجها كما وردت اشارات الى رؤوس الاموال وعمليات البيع والشراء والقروض والرهون والتعامل التجاري في مختلف وجوهه(*).

وقد تم تقسيم هذا الموضوع الى ثلاثة مباحث ، تناول المبحث الاول مكانة مكة التجارية ودور قريش فيها ، اما المبحث الثاني فقد تناول ايلاف قريش ودوره في السيادة التجارية وازدهارها في مكة وحصول قريش على الاتفاقيات التجارية والاحلاف مع الملوك في البلدان المجاوة لجزيرة العرب ومع رؤساء القبائل الواقعة على طرق التجارة ، اما المبحث الثالث فقد تناول تجارة قريش الداخلية والخارجية في مكة وخارجها وكذلك تجارتها مع البلدان المجاورة لجزيرة العرب.

(*) علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد – ١٩٨٠م ، ج٧ ، ص٢٨٩.

المبحث الاول

مكانة مكة التجارية ودور قريش فيها

اولا: اهمية مكة التجارية

أدت مكة المكرمة دورا متميزا في التجارة وكانت محطة تمر بها القوافل التجارية القادمة من اليمن الى بلاد الشام وبالعكس وقد شهدت تطور دورها التجاري ونموه في هذه الفترة ، حيث كانت تقع في منتصف الطريق التجاري بين اليمن والشام الذي يعد من اهم الطرق وأقصرها بين منطقتين تجاريتين مما جعل مكة ملتقى ذلك بين مختلف الاتجاهات[١] لهذا ارتبطت مع المحطات والاسواق التجارية بشبكة من طرق المواصلات البرية[٢]، واهمها طريق اليمن – الشام الذي يعتبر الشريان الرئيس لأنه يربط بين اسواق البلدين الاكثر اهمية في المنطقة وبفضل هذا الطريق اكتسبت مدينة مكة شهرتها التاريخية[٣].

---

[١] امين ، احمد ، فجر الاسلام ، بيروت – ١٩٦٩م ، ص١٢٠، الشريف ، احمد ابراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ط٢ ، دار الفكر، القاهرة – ١٩٦٥م ، ص٢٥.

[٢] علي ، المفصل ، جـ٧ ، ص١٣٧ وما بعدها.

[٣] بيضون ، ابراهيم ، الحجاز والدولة الاسلامية دراسة اشكالية العلاقة بالسلطة المركزية في القرن الاول الهجري ، بيروت – ١٩٨٣م ، ص٦٥.

وكانت مكة محطة لمرور القوافل التجارية لاهل اليمن ولاسيما في زمن المعينيين حيث امتدت تجارتهم وازداد نفوذهم الاقتصادي والسياسي الى شمال الحجاز[٤].

ومن بعد ذلك وصلوا الى بطرا عاصمة الانباط[٥] ، ثم اهتم السبأيون[٦] بهذه المحطة و من بعدهم الحميريون[٧] ، وقد رافق هذا الاهتمام على اثر بناء الكعبة المشرفة في وادي مكة المكرمة علي يد سيدنا ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل (عليهما السلام)[٨] ، بعد ذلك تم استيطان مكة من قبل العماليق وقبيلة جرهم واقدم المعلومات تشير الى ان جرهم كانت تأخذ ضريبة العشر من التجار الذين كانوا يفدون على مكة من غير

---

[٤] العلي ، صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٦ ، الموصل – ١٩٨١، ص١٩، بافقية ، محمد عبد القادر ، تاريخ اليمن القديم ، بيروت – ١٩٧٣م ، ص٣٥.

[٥] زيدان ، جرجي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة الهلال ، ط٣ ، مصر – ١٩٣٩م ، جـ١ ، ص١٠٤.

[٦] حتي ، فيليب وزميلاه ، تاريخ العرب مطول ، ط٤ ، دار الكشافة للنشر والطباعة الوتوزيع – ١٩٦٥م ، ص٦٤.

[٧] العلي ، صالح ، محاضرات ، ص٢٧.

[٨] الازرقي ، ابو الوليد محمد بن عبدالله (ت٢٣٢هـ/٨٣٧م) ، اخبار مكة وماجاء فيها من الاثار، تحقيق : رشدي الصالح ، جزءان في مجلد واحد ، بيروت – ١٩٦٩م ، ص٥٩ ، الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ اجزاء ، تحقيق : محمد ابو الفضل ، القاهرة – ١٩٦٠ ، جـ١، ص٢٥.

اهل مكة الاصليين[٩].

ان موسم الحج مرتبط بالاشهر الحرم التي كرست للتجارة ولهذا السبب تحولت مكة من محطة تجارية الى مركز تجاري فيما بعد تتم من خلاله عمليات البيع والشراء في موسم الحج ، ثم بعد ذلك تولت قبيلة خزاعة ولاية البيت بعد ان نفت جرهم عنها[١٠] ، واستمرت ضريبة العشر في عهدها[١١].

كان لخزاعة دور نشط ومميز لربط القبائل العربية بمكة عن طريق تنشيط سوقها والاهتمام بالسقاية وإطعام الحجيج في موسم الحج[١٢] ، اما في عهد جرهم ومن بعدهم فلا تتوفر اي معلومات عن طبيعة التجارة في مكة واسواقها ولكنها تتضح قليلا في ايام قصي بن كلاب ، ففي عهده تميزت مكة بمرحلة جديدة في حياتها ، وفي هذه الاثناء تحول وادي مكة من مجرد مركز ديني يضم الكعبة الى مدينة عامرة بالبيوت والسكان وهذا

---

[٩] ابن هشام ، محمد بن عبد الملك ، السيرة النبوية ، ٤ اجزاء ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعيد ، بيروت ١٩٧٥ ، جـ١ ، ص١٠٣ ، الازرقي ، اخبار مكة ، جـ١ ، ص ٨٢ ، الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاموي القرشي (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) ، الاغاني، ٢١ جزء ، طبعة دار الثقافة ، بيروت - ١٩٥٦م ، جـ١٥ ، ص١٣.

[١٠] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص٩٣ ، الاصفهاني ، الاغاني ، جـ١٥، ص١٦.

[١١] الشريف ، ابراهيم ، مكة والمدينة ، ص١٠٢.

[١٢] الازرقي ، اخبار مكة ، جـ١، ص١٠٠.

تبين جليا عندما انزل بطون قريش في ابطح مكة وحول الحرم[١٣] ، فقد ظهرت انعكاسات واضحة على مجمل جوانب الحياة الاخرى نتيجة لهذا التغيير الذي حصل في مكة ، وبالتالي حصلت اجراءات عديدة تضمنت تنظيم حياة الناس في مكة وكان اولها بناء دار الندوة التي اتخذها اهل مكة مقرا لهم لحكم مكة واجتماع اهل قريش الذي يتزعمهم قصي بن كلاب[١٤].

ثانيا: قريش ودورها التجاري

كان لقبيلة قريش الشرف والرياسة[١٥] ولاتدين العرب الا لقريش[١٦] ، ولاهمية قريش يفضلونها في كل شيء[١٧] ، ان السيطرة الاجنبية على اطراف الجزيرة العربية قد دفعت معظم القبائل العربية الى التوجه نحو الحجاز من النواحي الدينية والسياسية والقومية لانه كان يتمتع

---

(١٣) اليعقوبي ، احمد بن واضح بن ابي يعقوب (ت٢٨٤هـ/٨٩٢م) ، تاريخ اليعقوبي، دار صادر ، بيروت – بلا ، جـ٢ ، ص٢٣٩، الطبري ، تاريخ ، جـ٢، ص٢٥٨.

(١٤) كامل ، نبيه ، تاريخ العرب القديم ، ص٢٣٨.

(١٥) الالوسي ، محمود شكري ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، ٣ اجزاء في مجلد واحد ، تصحيح : محمد بهجت الاثري ، مصر – ١٣٤٢هـ ، جـ٣، ص٢٠٠.

(١٦) الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) ، البيان والتبيين ، ٣ اجزاء ، تحقيق : حسن السندومي ، مطبعة الاستقامة، القاهرة – ١٩٥٦م ، جـ٣، ص٢٩٧.

(١٧) الاصفهاني ، الاغاني ، جـ٣ ، ص٣١٣.

بالاستقلال دون غيره من البلدان العربية الاخرى[١٨] ، وعلى الرغم من ذلك فان بعض القبائل العربية كانوا لا يحجون الى بيت الله الحرام ولا يحرمون الحرم ، منهم بني خشعم وبني منبه بن كعب بن الحارث[١٩] وقبائل من اسد بن خزيمة وبني طي وغيرهم ، اضافة الى بعض القبائل العربية من اهل الكتاب مثل بني تغلب وعبد القيس وغسان وعاملة ولخم[٢٠].

اما في القرن الخامس الميلادي فقد برزت اهمية مكة بشكل كبير[٢١] ولاسيما بعد ان تمكن قصي بن كلاب من بسط نفوذه عليها لانه اول من اصاب ملكا من بني كعب[٢٢] ، وهو الذي بنى مجد قريش وثبت نفوذها في مكة[٢٣].

---

[١٨] دروزه ، محمد عزة، عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) وبيئته قبل البعثة ، دار اليقظة ، بيروت – ١٩٦٤م ، ص٣٥.

[١٩] ابن حبيب ، ابو جعفر محمد البغدادي (ت٢٤٥هـ/٩٥٦م) ، المنمق في اخبار قريش، تحقيق : خورشيد احمد فارق ، ط١، حيدر اباد – ١٩٦٤م ، ص٦٨.

[٢٠] الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) ، كتاب الحيوان ، ٧ اجزاء ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة – ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ، جـ٧، ص٢١٦.

[٢١] العلي ، محاضرات ، ص٩٥.

[٢٢] الطبري ، تاريخ ، جـ٢، ص٢٥٨.

[٢٣] الافغاني ، سعيد ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق – ١٩٦٠م ، ص٩٧.

استمر قصي بن كلاب باخذ ضريبة العشر من الداخلين مكة من غير قريش[٢٤] ، وقام باجراءات جعلت من مكة محورا لحركة تجارية واسعة اعتمدت عليها قريش في باديء الامر فانها: «لا تتاجر الا مع من ورد على مكة في المواسم وبذي المجاز وسوق عكاظ وفي الاشهر الحرم لا تبرح دارها ولا تجاوز جرمها»[٢٥].

لقد استغل قصي بن كلاب مكانة مكة الدينية ووظفها في خدمة دور قريش التجاري[٢٦] ، واوجد في مكة وظائف جمعها كلها بيده كالحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء[٢٧] والقيادة[٢٨] ، فضلا عن ذلك فانه عمل على توفير الامن والحماية والاستقرار والطمأنينة في مكة لأنها كانت بيتا امنا للناس وحرما[٢٩].

---

[٢٤] المسعودي ، ابو الحسن علي بن حسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ٤ اجزاء ، ط٤ ، مصر – ١٩٦٤م ، جـ١ ، ص٥٨.

[٢٥] اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢، ص٢٤٢ ، الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق : محمد ابو افضل، القاهرة – ١٩٦٥م ، ص١١٥.

[٢٦] بيضون ، ابراهيم ، الحجاز والدولة الاسلامية ، ص٤٥.

[٢٧] ابن هشام ، السيرة، جـ١، ص١١٩.

[٢٨] الازرقي ، اخبار مكة ، جـ١، ص١١٠.

[٢٩] ابن كثير ، ابو الفدا عماد الدين اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، ت٧٧٤ ، تفسير القران ، ٤ اجزاء ، مكتبة الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة – بلا، جـ٣، ص٤٢١.

ان سيدنا ابراهيم الخليل (عليه السلام) اول من وضـــع الاحجـــار ونصب الاعلام ووقف على حدود الحرم الشريف ، حيث لا يجوز القتـــل والقتال وسفك الدماء في بيت الله الحرام[٣٠] ، وبقيت هذه الحدود الى عهد قصي بن كلاب الذي قام بتجديدها وتوسيع منطقة الحرم وزاد فيها حيـــث شملت منطقة مكة كلها[٣١]. واستطاع قصي بن كلاب إعادة هيبـــة مكـــة ومكانتها الدينية والحرمة للاشهر الحرم الاربعة[٣٢] ، التي كـــان يعرفهـــا العرب منذ القدم اي قبل قريش ومنذ عهد قبيلة جرهم ، اما في ايام خزاعة فقد قلت وضعفت ويعود السبب في ذلك الى عدم التزام بعض القبائل بهـــا وعدم احترامها هذه الاشهر المعروفة لديهم[٣٣] ، ومنها قبيلتا طي وخشعم[٣٤].

كانت قبيلة قريش تحترم الاشهر الحرم وكذلك كل العـــرب الـــذين يدينون بدينها ويعظمونها فكانوا لا يعتدون ولا يظلمون فيها احد[٣٥] ، هذا كله ادى الى اقبال الناس على الحج الى مكة وتزايدهم وادى هذا الى ازدياد المنافع لأهل مكة عن طريق اقامة الاسواق العامة وتعددها فيها.

---

[٣٠] الازرقي ، اخبار مكة ، جـــ٢ ، ص١٢٨.

[٣١] الشريف ، احمد ابراهيم ، مكة والمدينة ، ص١٧٢.

[٣٢] ابن كثير ، تفسير ، جـــ١، ص٢٣٥.

[٣٣] السهيلي ، عبد الرحمن الخشعمي (ت٥٨١هـــ/١١٨٥م) ، الروض الانف في شرح السيرة النبوية ، تحقيق : عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثـــة – بـــلا، ج١، ص٣٤.

[٣٤] الثعالبي ، ثمار ، ص١١٦.

[٣٥] الازرقي ، اخبار مكة ، جـــ١ ، ص١٨٠.

هذه الاجراءات التي قام بها قصي بن كلاب ساعدت على زيادة عدد القوافل التجارية القادمة الى مكة نتيجة توفر الامن والراحة والاستقرار فيها وكذلك البيئة الجغرافية التي كانت في المنطقة كشحة المياه والارض الجدباء ، مما جعل قريشا تقوم بتنشيط تجارتها وتأمين وصولها للاستفادة من المنافع التي يحصلون عليها من تجارتهم واسفارهم ، وبعد ان تهيأت الظروف المناسبة بعد قصي بن كلاب ولاسيما ايام هاشم بن عبد مناف الذي برز في وقت ظهرت فيه بدايات تراجع في المراكز الحضارية والتجارية التي قامت على اطراف جزيرة العرب ، وكذلك مما سببته الحروب البيزنطينية – الفارسية في الشمال فكانت اليمن تعيش مرحلة تمزق سياسي في الجنوب بسبب بعض المؤثرات الخارجية التي انتهت بغزو الاحباش لها[٣٦] واحتلالها عام ٥٢٥م[٣٧] ، وهذا بالتالي ادى الى انحسار دور اليمن التجاري ، وفي شمال الجزيرة العربية شهد انحسار نفوذ الغساسنة في الشام والمناذرة في العراق وهذا بالنتيجة ادى الى حدوث خلل في المعادلة القديمة وقيام تنافس بين القبائل العربية على حساب المناذرة والغساسنة ادى الى اضعافهما[٣٨].

---

[٣٦] ابن هشام ، السيرة ، جـ١، ص ٣١.

[٣٧] سالم ، السيد عبد العزيز ، دراسات في تاريخ العرب ، عصر ما قبل الاسلام ، الاسكندرية – ١٩٦٧م ، ص١٨٢، الحديثي ، نزار عبد اللطيف ، محاضرات في التاريخ العربي الاسلامي ، بغداد – ١٩٧٩م ، ص١٩.

[٣٨] بيضون ، الحجاز والدولة الاسلامية ، ص٨٤.

لقد خرجت قريش من حدودها وضربت في مناكب الارض تحت ظل هذه الظروف[٣٩] ، وفي هذه الاثناء كانت قريش تقوم بتسيير القوافل التجارية من دار الندوة في مكة ولعدة اتجاهات وكان هاشم بن عبد مناف اول من ذهب خارج مكة[٤٠] ، وفتح الابواب لقريش وجلب الخير لها بعد حصوله على الايلاف من قيصر الروم[٤١]، بعد ذلك حصل اخوته على مثل ذلك من ملك الحبشة وملك الفرس كسرى في العراق[٤٢] وبذلك توسعت تجارة مكة بشكل كبير الى خارج الجزيرة العربية ، كان لقريش رحلتان احدهما في الشتاء الى اليمن والحبشة وترحل الاخرى في الصيف الى الشام وغزة[٤٣]، وقد ورد ذكرها في القران الكريم ، ولم تكتف قريش بهاتين الرحلتين بالسنة كما تشير بعض الروايات التاريخية ، فقبل معركة

---

[٣٩] دروزه ، عصر النبي وبيئته ، ص٧٢ ، علي ، المفصل ، جـ٧ ، ص٢٨٧.

[٤٠] ابن هشام ، السيرة ، جـ١،ص١٢٥ ، المقدسي ، موفق الدين ابو محمد عبد الله بن احمد (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) ، التبيين في انساب القرشيين ، تحقيق : محمد نايف الدليمي ، ط١ ، بغداد – ١٩٨٢م ، ص١٤٨.

[٤١] ابن سعد ، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) ، الطبقات الكبرى ، ٩ اجزاء ، دار صادر ، بيروت – ١٩٥٧ ، جـ١، ص٧٥.

[٤٢] ابن حبيب ، ابو جعفر محمد البغدادي ، المحبر ، تحقيق : الزا ليختن شتيتر ، بيروت – بلا ، ص١٦٢-١٦٣، ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م) ، تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، تحقيق : مصطفى جواد ، نسخة مصورة ، دمشق – ١٩٦٣، جـ٤ ، ص٥٣٠.

[٤٣] يماني ، محمد عبده ، انها فاطمة الزهراء ، دار القبلة للثقافة الاسلامية ، جدة ، المنار للنشر والتوزيع – دمشق – ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ط٢، ص٣٠.

بدر الكبرى اعترض المسلمين ست رحلات تجارية قامت بها قريش خلال سنة واحدة ، ثلاث منها قادها الرسول الكريم سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وهذه اشارة واضحة الى استمرار الرحلات التجارية خلال ايام السنة[٤٤]. وكانت قريش تخرج في بعض الاحيان برحلاتها التجارية الى الشام في فصل الشتاء[٤٥]، هذا كله ادى الى توسع تجارة قريش الى مناطق عديدة وبالتالي مكنها من الحصول على اموال طائلة حققتها من الارباح العالية في التجارة وكانت ارباحهم التجارية في الدينار دينار[٤٦].

لقد ظهرت فئة من كبار التجار والاغنياء كانت لها علاقات وطيدة مع اصحاب الاموال خارج مكة منهم من اهل يثرب واليمن والطائف والشام والعراق فصار القرشيين في القرن السادس الميلادي من اشهر التجار واغناهم[٤٧]، وفضلا عن هؤلاء التجار كان هناك تجار صغار يقومون بتصريف البضائع في اسواق مكة الداخلية ، وكانت البضائع تخزن في مخازن خاصة بها لتصريفها فيما بعد[٤٨]، ونتيجة لهذا النظام التجاري الكبير الذي ساد في مكة تراكمت الاموال وتزايدت مما ادى الى ايجاد نظام مالي وبالتالي ظهرت عملية الاقتراض المصحوبة بالربا التي اشار اليها القران الكريم وحرمها الاسلام ، لقد الغى رسول الله

---

(٤٤) ابن هشام ، السيرة ، جـ٢، ص٤٣ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ٣، ص٤٤-٤٩.

(٤٥) الطبري ، تاريخ ، جـ٢، ص٤٩٣.

(٤٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ١، ص٣٧.

(٤٧) علي ، جواد ، المفصل ، جـ٤، ص١٢٣.

(٤٨) صالح ، احمد عباس ، اليمين واليسار في الاسلام ، بيروت – ١٩٧٢م ، ص٢٤.

(صلى الله عليه وسلم) الربا عند فتح مكة[٤٩]، كان ابو لهب عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقرض الاموال للناس[٥٠] وظهرت مشاركات تجارية كمشاركة رباح بن المغترف من بني الحارث لعبد الرحمن بن عوف في تجارته[٥١]، قال السائب بن صبغي للرسول (صلى الله عليه وسلم) اتعرفني فقال له كيف لا اعرف شريكي الذي لا يشاريني ولا يماريني[٥٢].

كان لاهل قريش حصص في القوافل التجارية المختلفة وان مال القافلة لم يكن لشخص واحد او اسرة معينة بل كان يخص تجارا من اسر مختلفة وافراد يملكون المال او اقترضوه من غيرهم[٥٣]، وكمثال على ذلك قافلة أبي سفيان التي كان يقودها بنفسه محملة باموال عظيمة وحاول المسلمون الاستيلاء عليها ووقعت بسببها معركة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون انتصارا عظيما بامر الله تعالى ، حيث كان لكل بيت في قريش حصة فيها[٥٤].

لقد ظهرت مهنة الصرافة نتيجة التعامل المالي مع النقود المتداولة فيما بينهم ، وكان على الصراف ان يكون عارفا بانواع المعادن لكي يستطيع التمييز بين المعدن الجيد والرديء وكذلك معرفة وزنها لان

---

[٤٩] الواقدي ، محمد بن عمر، (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م) ، المغازي ، ٣ اجزاء ، تحقيق: مارسدن جونسن ، بيروت – ١٩٦٦م، جـ٢، ص٨٣٥-٨٣٦.

[٥٠] الاصفهاني ، الاغاني ، جـ٤، ص١٧٨.

[٥١] المقدسي ، التبيين ، ص٤٩٤.

[٥٢] الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١، ص٣٢٩.

[٥٣] علي ، المفصل ، ج٧، ص٢٩٠.

[٥٤] الواقدي ، المغازي ، جـ١، ص٢٧.

التعامل بها يكون عن طريق الوزن لا العد[٥٥]، كذلك عليه معرفة سعرها في الاسواق لكي يستطيع معرفة قيمة التبادل التجاري بالمقابل كان الدينار الذهبي والدرهم الفضي هو النقد المتداول في مكة ، فكان الدينار الذهبي لاهل الشام والدرهم الفضي لاهل العراق[٥٦].

المبحث الثاني

ايلاف قريش ودورها في السيادة التجارية وازدهارها في مكة

اولا: معنى الايلاف

ان كلمة ايلاف قد وردت في القرآن الكريم قال تعالى: «لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ۝إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ۝فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ۝الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ۝» [٥٧]، واختلف في قراءة الكلمة فقرئت (لألاف) وقرئت بهمزتين مخففتين بكسر الاولى وتسكين الثانية (لأيلاف) وقرئت من قبل بعضهم بهمزة بعدها ياء ساكنة ، وقسم اخر يقول (لايلاف قريش ايلافهم) هذه هي القراءة الصحيحة ، وللعرب في ذلك لغتان آلفت وألفت[٥٨]، وقيل انها مشتقة من الالف اي الاعتماد على

---

(٥٥) البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، فتوح البلدان ، ط١ ، مكتبة الهلال ، بيروت – ١٩٨٣م ، ص٤٤٨.

(٥٦) المصدر نفسه ، ص٤٤٩.

(٥٧) القرآن الكريم ، سورة قريش .

(٥٨) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، دار المعرفة بيروت. بيروت – ١٩٨٠م ، ص٣٠ ، ص١٩٧ وما بعدها.

الرحلتين او موالفة الاقامة والاجتماع في مكة بالحرم[٥٩]، وقيل ان الايلاف امان الناس عند ورودهم بأرض غيرهم[٦٠] وقيل معناه العهود أيضا[٦١]، قال عبد الله بن عباس ان الايلاف معناه العهد والذمام[٦٢]، وكذلك فان معنى الايلاف هو الربح الذي قام هاشم بن عبد مناف بتخصيصه لرؤساء القبائل في مكة[٦٣].

واختلفت تسميات الايلاف باختلاف اراء المؤرخين فاستخدم البلاذري كلمة (عصما) فقال: «ان هاشما اخذ لهم عصما من ملوك الشام»[٦٤]، واستخدم الطبري كلمة (العصم) و (الحبل)[٦٥]، وذكر الايلاف في القرآن الكريم لاهميته وعظمته، وفي التنزيل مع الايلاف هو العهد وشبه الاجازة بالخفارة[٦٦]، اما ابن سعد فسمى الايلاف بـ(الحلف) حيث قال: «كان هاشمٌ رجلا شريفا صاحب ايلاف قريش وهو الذي اخذ الحلف لقريش من

---

(٥٩) ابن هشام، السيرة، جـ١، ص٤٩، ابن كثير، التفسير، جـ٤، ص٥٥٣.

(٦٠) المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص٥٩، ابن حبيب، المنمق، ط١، ص٣٣.

(٦١) ابن حبيب، المحبر، ص١٦٢.

(٦٢) الطبري، تفسير، جـ٣، ص١٩٧ وما بعدها، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب المحيط، ٤ اجزاء، اعداد: يوسف خياط، بيروت – بلا، جـ١، ص٨٣.

(٦٣) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٨٩، علي، المفصل، جـ٧، ص٣٠٣-٣٠٤

(٦٤) البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق: احسان عباس، بيروت – ١٩٧٩، جـ١، ص٥٩.

(٦٥) الطبري، تاريخ، جـ٢، ص٥٢.

(٦٦) البستاني، محيط المحيط، نسخة طبق الاصل عن طبعة بيروت – ١٨٧٠م.

قيصر»[٦٧]، وكان هاشم صاحب ايلاف قريش اي دأب قريش واصل الايلاف حلف حالف عليه هاشم قبائل العرب ان تسير تجارة قريش حيث سارت في قبائل العرب لا يقربها احد بسوء تعظيما لقريش لانهم سكان الحرم وسدنة البيت واظهر العرب[٦٨].

ثانيا: تجارة قريش ودور الايلاف في ازدهارها

كانت قريش تعتمد على ما تحصل عليه من ضريبة العشر التي تفرضها على التجار الداخلين الى مكة من غير اهلها ، ولم تنظر الى التجارة في باديء الامر بشيء من الاهمية وكانت تعتقد بانها ليست من اختصاصها هذا فضلا عن الهدايا والنذور التي كانت تقدم الى الكعبة والاموال التي كانت تحصل عليها من سقاية الحجاج والرفادة التي نظمها قصي بن كلاب واعتبرت اساسا لكل العمليات الجارية فيما بعد[٦٩].

كانت قريش في البداية تتعامل مع القبائل التي كانت تفد على مكة في المواسم في العمليات التجارية وكانت لا تخرج خارج مكة[٧٠]، وكانت قريش كما قال ابن حبيب: «تجارا وكانت تجارتهم لا تعدو مكة وانما يتقدم عليهم الاعاجم بالسلع فيشترون منهم ثم يتبايعوه بينهم ، ويبيعون من حولهم من العرب»[٧١]. وهذا لا يعني ان قريشا لا تتعامل الا بالبضائع التي يأتي

---

(٦٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٥.

(٦٨) يماني ، انها فاطمة الزهراء ، ص٣٠.

(٦٩) الشريف ، احمد ابراهيم ، مكة والمدينة، ص١٧١.

(٧٠) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص١١٥.

(٧١) ابن حبيب ، المنمق ، ص٣١-٣٢

بها الأعاجم الى مكة ، وكان يفد اناس من كل مكان حجاجا وتجارا الى مكة[٧٢]، وكان قصي بن كلاب يطعم الحجاج وينظم السقاية عن طريق حفر الآبار من اجل دعم اقتصاد مكة ، ثم تحالف وتعاقد مع خزاعة وبعض بطون كنانة[٧٣]، بعد ذلك تطورت هذه التحالفات وخاصة في عهد هاشم بن عبد مناف صاحب ايلاف قريش اي دأب قريش ، وكان اول من سن الرحلتين لقريش ، وفيما بعد اخوته[٧٤]، ويكفي ان الرحلتين اللتين إستنهما قد ذكرهما الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز القرآن الكريم وكانت لهاشم السقايا والرفادة في الحج[٧٥].

لقد مهد هاشم للايلاف من خلال رحلاته الكثيرة في تجارته الى بلاد الشام في بصرى وغزة ، وتشير بعض الروايات الى انه وصل الى انقرة[٧٦]، وعقد هاشم الايلاف مع الشام وحصل على اذن من قيصر الروم بدخول تجارة قريش الى بلاد الشام وتم هذا في احدى رحلاته التجارية الى الشام[٧٧]، وبعد حصوله على الامان من قيصر أمن الطريق بين مكة والشام جعل كلما يمر بحي من أحياء العرب بطريق الشام أخذ من اشرافهم ايلافا[٧٨].

---

[٧٢] الثعالبي ، ثمار ، ص٨٩.

[٧٣] العطار ، محيي الدين الشيخ ابراهيم ، بلوغ الارب في مآثر العرب ، مطبعة الصفا ، لبنان – ١٣١٩هـ ، ص١٤٩.

[٧٤] ابن سعد ، الطبقات ، جـ١، ص٧٥، الطبري ، تاريخ ، جـ٢، ص٢٥٢.

[٧٥] يماني ، انها فاطمة الزهراء ، ص٣١. [٧٦] ابن سعد ، الطبقات ، جـ١، ص٧٥.

[٧٧] ابن سعد ، الطبقات ، جـ١، ص٧٥، علي ، المفصل ، جـ٧، ص٣٠٣-٣٠٤.

[٧٨] ابن حبيب ، المنمق ، ص٣٢-٣٣ ، وانظر ابن سعد ، الطبقات ، جـ١، ق١، ص٤٥.

ثم حصل اخوته على الايلاف فعقد عبد شمس ايلافا مع الحبشة[٧٩] واخذ من ملكها كتابا وعهدا لمن تجر قبله من قريش ثم اخذ الايلاف ممن بينه وبين العرب حتى وصل الى مكة ، وخرج أخوه نوفل الى العراق فأخذ عهدا من كسرى لتجار قريش ثم أخذ الايلاق من العرب الذين مر بهم حتى قدم مكة ، وخرج المطلب الى اليمن فأخذ من ملوكهم عهدا لمن تجر قبلهم من قريش ، ثم أخذ الايلاف من قبائل العرب التي مر بها حتى أتى مكة[٨٠].

وعرف اصحاب الايلاف وهم ابناء عبد مناف الاربعة بالمجيرين لأنهم كانوا يؤلفون الجوار يتبعون بعضه بعضا ، يجيرون قريش بميرهم ويجيرون فقيرهم ، فكان تجار قريش يختلفون الى هذه الامصار بايلاف هؤلاء[٨١]، ولان الله تعالى جبر بيهم قريش واغناها.

إنّ هذا الايلاف اعطى قريشا مكانة بارزة لدى الحكام الذين تعاقدوا معهم فمنحوهم الحماية في اراضيهم وبعض التسهيلات في الضرائب والنقل فضلا عن الى تفضيل تجار قريش على بقية التجار الآخرين[٨٢]، لهذا يعتبر الايلاف نقطة تحول خطيرة في حياة مكة الاقتصادية ، ومن مميزاته ان قريشا قد اشركت رؤساء القبائل في القوافل التجارية وجعلت لهم حصة من الارباح[٨٣]، وهنا ربط هاشم مصالح مكة بمصالح القبائل

---

[٧٩] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٦٣.

[٨٠] ابن حبيب ، المنمق ، ص٣٥، البلاذري ، انساب ، جـ١، ص٧٩.

[٨١] علي، المفصل ، جـ٧، ص٣٠٣-٣٠٤.

[٨٢] المرجع نفسه ، جـ٧، ص٣٠٢.

[٨٣] الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٨٩.

الاقتصادية فضلا عن أن قريشا استعانت بادلاء للقوافل التجارية من ابناء القبائل الساكنة على مسار الطرق التجارية لكي تضمن سلامة قوافلها[٨٤].

وهنا يتسنى لنا القول ان قريشا قد أمنت على تجارتها الداخلية والخارجية مع البلدان التي تاجرت معها ، لم تكن نظرة القبائل الشمالية الى تجار قريش كنظرتها الى التجار الاخرين الذين كانوا يتاجرون بشكل فردي ، وان التاجر الذي لم تكن له حماية في مكة يتعرض للظلم والاعتداء فكيف الحال بالذي يسير في الصحراء[٨٥].

كانت قبيلة قريش صاحبة الشرف الرفيع والكرم والمروءة وقد خصها الله تعالى بذلك حيث كانت لهاشم الرفادة والسقاية في الحج فاذا جاء موسم الحج قام في قريش فقال: «يا معشر قريش انكم جيران الله واهل بيته وانه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته فهم ضيف الله واحق الضيف بالكرامة ضيفه ، وقد خصكم الله بذلك واكرمكم به»[٨٦]، لقد ارتبطت أعمال قريش التجارية بالوظائف الدينية التي كانت تقدمها قريش للوافدين على مكة خدمة لمصالحها ودعم ايلافها وجعلت بعض هذه الوظائف بيد القبائل القوية ، فقلدت قريش قبيلة تميم وظيفتين مهمتين كان لها الأثر الكبير في حياتها الدينية والتجارية هما القضاء في عكاظ والاجازة في الحج[٨٧]، وبذلك حافظت قريش على مصالحها التجارية بشكل كبير ، استطاع هاشم معالجة مشكلة الاعتقاد التي كانت تعاني منها

---

(٨٤) الواقدي ، المغازي ، جـ١، ص٢٨، الاصفهاني ، الاغاني ، جـ٤، ص١٧٥.

(٨٥) ابن حبيب ، المنمق ، ص٤٥ وما بعدها.

(٨٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ١ ، ص٧٨.

(٨٧) ابن حبيب ، المحبر ، ص١٨٢.

قريش وذلك عن طريق هذا الايلاف ، والتي كانت موجودة قبل عهد هاشم وخلصها منها ، فضلا عن أنه استطاع الحاق كل غني رجلا فقيرا في تجارته يقاسمه الارباح حتى صار فقيرهم كغنيهم[٨٨]، وتحولت تجارة قريش من عمل فردي الى عمل جماعي يساهم في رأس ماله جميع اهل مكة وتعود ارباحهاالى جميع اهلها ، ونتيجة لذلك فان سكان مكة اغنيائها وفقرائها عليهم واجب الدفاع عن مكة وحماية تجارتها واقتصادها بأعتبارهم جميعا مساهمين برأس مال القافلة[٨٩].

واشتهر اهل مكة بترفعهم عن البخل والشح ، فقال الجاحظ : «ومن العجب ان كسبهم لما قل من قبل تركهم الغزو ومالوا الى الايلاف والجهاد ، لم يعتريهم من بخل التجار قليل ولا كثير ، والبخل خلقة في الطباع ، فأعطوا الشعراء كما يعطي الملوك وقروا الاضياف ، ووصلوا الأرحام ، وقاموا بنوائب زوار البيت»[٩٠]، وقد ترفعت قريش عن الغزو وصرفت نفسها الى التجارة[٩١]، لقد نظمت قريش طريقة تصريف بضائعها وزيادة حركة السوق التجاري بشكل خاص في مواسم الحج بمكة ففرضت على جميع العرب ان يطرحوا ازواد الحل اذا دخلوا الحرم الشريف وان يخلوا ثياب الحل واستبدالها بثياب الحرم اما شرا واما عراية واما على

---

[٨٨] النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م) ، نهاية الارب في فنون الادب ، مصر – بلا ، جـ٣ ، ص٣٦٨.

[٨٩] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٦٢. [٩٠] علي ، المفصل، جـ٧ ، ص٢٨٥-٢٨٦.

[٩١] المرجع نفسه ، جـ٧ ، ص٢٨٦

شكل هبة[٩٢]، ورفعوا الامر وزادوا وقالوا : « لا ينبغي لاهل الحل ان يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل الى الحرم»[٩٣]، وهذا بالنتيجة حقق فوائد اقتصادية كبيرة لقريش .

المبحث الثالث

تجارة قريش الداخلية والخارجية مع البلدان المجاورة لها

اولا: تجارة قريش الداخلية

كانت مكة مركز تجمع كل القوافل العربية التي كانت تأتي اليها من اجل التجارة وتبادل السلع المختلفة في اسواقها ، وكان فيها اسواق عديدة اعظمها واشهرها سوق[٩٤] عكاظ ، الذي استمر الى مجيء الاسلام وظهوره في مكة[٩٥]، وكانت تنزلها قريش وقبائل هوازن وثقيف وطوائف من غطفان واسلم والاحابيش ولم يكن فيها عشور ولا خفارة[٩٦]، كان هذا السوق يقام في منتصف ذي القعدة ويستمر الى اخر الشهر من كل

---

[٩٢] ابن حبيب ، المنمق ، ص١٤٥ . الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) . معجم البلدان ، ٥ اجزاء، دار صادر بيروت – ١٩٥٧م ، جـ٥ ، ص١٤٤.

[٩٣] ابن اسحاق ، محمد المطلبي (١٥١هـ/٧٦٨م) ، السير والمغازي ، ط١، تحقيق : سهيل زكار، دمشق – ١٩٧٨م ، ص١٠، ابن هشام ، السيرة ، جـ١، ص١٨٧.

[٩٤] ابن حبيب ، المحبر، ص٢٦٧. * لفظة عكاظ مشتقة من الفعل عكظ ، «عكظ الرجل دابته يعكظها عكظا اذا حبسها وبه سميت عكاظ ، وسمي عكاظ عكاظا لان العرب تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضا بالفخار، اي يدعك ، وعكظ فلان خصمه باللدد والحج عكظا» الحموي ، معجم البلدان ، جـ٤، ص١٤٢.

[٩٥] الأزرقي ، اخبار مكة ، ص١٩٠. [٩٦] ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٦٧.

سنة[97]، وهي لقيس عيلان وثقيف وارضها لنصر من هوازن[98]، فضلا عن ذلك هناك سوق المجنة[99] قرب مكة يمر الظهران اعلى مكة[100]، اما فترة قيام هذا السوق فتكون بعد الانتهاء من سوق عكاظ ومدته عشرة ايام[101] وهي لكنانة وارضها من ارض كنانة ، ويعتبر سوق عكاظ تاريخا لكل الاسواق وللعرب ايضا لان حفظ لنا الكثير من انشطة العرب التجارية والثقافية والاجتماعية والسياسية[102]

وهناك اسواق اخرى في مكة كسوق ذي المجاز[103]، اما موضعها فهو بمنى بين مكة وعرفة[104] ، اما وقت بدايته فيكون بعد الأنتهاء من سوق المجنة في هلال ذي الحجة الى يوم التروية[105]، وكانت هذه السوق

---

(97) المصدر نفسه ، ص١٥٧، الأزرقي ، اخبار مكة ، جـ١، ص١٨٧.

(98) الأزرقي ، اخبار مكة ، جـ١، ص١٩٠.

(99) تقع بالقرب من مكة على اميال يسيرة من ناحية مر الظهران وقدرت المسافة بينها وبين مكة بثلاثة اميال وقيل بريد ، قربها يقع الجبل الاصفر، وارضها لكنانة. البكري ، ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٤٩م ، ص١٨٧، الحموي، معجم ، جـ٤، ص١٤٢، الأزرقي ، اخبار مكة ، جـ١، ص١٩١.

(100) الأفغاني ، اسواق ، ص٢٣٤.

(101) الأزرقي ، اخبار مكة ، ص١٨٨، الحموي ، معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٥٨.

(102) الافغاني ، اسواق ، ص٢٨٥. (103) الحموي ، معجم البلدان ، جـ٥، ص٥٥.

(104) الأزرقي ، اخبار مكة ، جـ١، ص١٩١.

(105) الأزرقي ، اخبار مكة ، جـ١، ص١٨٨، ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٦٧.

لبني هذيل ، كانت اسواق مكة تضم مختلف البضائع التي تجلب من أنحاء مختلفة كالسلع والحبوب والمنسوجات والحيوانات والرقيق ، ويحضرها معظم تجار قريش وبعد الانتهاء من عملية البيع والشراء بين التجار من اهل مكة والقبائل التجارية الوافدة اليها يقوم تجار قريش بتجهيز قوافلهم التجارية لحمل البضائع التي لديهم ليتم نقلها الى الاسواق الاخرى الموجودة في داخل الجزيرة العربية وخارجها(١٠٦)، السبب في ذلك يعود الى كون مكة محطة تجارية لعمليات الشحن والتفريغ لمختلف السلع التجارية(١٠٧).

كانت القبائل التجارية تأتي الى مكة في موسم الحج وفي الوقت نفسه كانت تتاجر مع اهل مكة في اسواقها المختلفة ، علما ان اهل مكة بعد حصولهم على الايلاف كانوا يذهبون الى الاسواق التي تقام في الجزيرة لغرض التجارة كسوق دومة الجندل(١٠٨) ويقع هذا السوق في الشمال ما بين الشام والحجاز اما موعده فكان في اول شهر ربيع الاول الى النصف منه ويستمر الى رأس الشهر(١٠٩)، وفيها كان يقام اول اسواق العرب قبل

---

(١٠٦) علي ، المفصل ، جـ٧، ص٣٨١.

(١٠٧) الشريف ، احمد ابراهيم ، مكة والمدينة، ص٢١٢.

(١٠٨) وتسمى ايضا دوماء الجندل . الحموي ، معجم البلدان ، جـ٢، ص٤٨٧، البكري ، معجم البلدان ، ص٥٦٥ ، والجندل تعني الحجارة قدر ما يرمى بالمقذاف وهو الجلد ايضا ، الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت١٧٥هـ/٧٩١م)، كتاب العين، ٨ اجزاء ، تحقيق : د.مهدي المخزومي ، د. ابراهيم السامرائي، جـ٦، مطابع كويت تايمز ، كويت – ١٩٨٢م ، ص٢٠٦.

(١٠٩) ابن حبيب ، المحبر، ص٢٦٣.

الاسلام[١١٠]، وكانت واحدة من اكبر اسواق العرب وان اهميتها جاءت من موقعها المهم مما جعلها قريبة من بضائع الشام والعراق والجزيرة[١١١]، وكان يحضرها سائر قبائل العرب من قرب منهم ومن بعد[١١٢].

وكان الامراء العرب يقومون بالاشراف على اقامة هذا السوق ، اما رؤساؤها فكانوا من كلب او غسان يتنافسون فيما بينهم فاي واحد يفوز يخضع له الاخر[١١٣]، اما ضريبة العشر التي كانت تفرض على الوافدين الى مكة فكانت تؤخذ من المسؤول عن امر السوق[١١٤]، وكانت لحرب بن امية صلات تجارية قوية بهذه السوق حيث كانت تربطه ببشر بن عبد الملك صلات صحبة ومصاهرة ونسب[١١٥]، وكان اهل قريش في مكة يذهبون الى السوق اما لممارسة التجارة او خفراء للقوافل التجارية وكان التجار الذين يخرجون من اليمن او الحجاز يتخفرون في قريش ماداموا هم في بلاد مضر[١١٦].

---

(١١٠) المرزوقي ، ابو علي احمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، الازمنة والامكنة ، جزءان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند – ١٩١٣م ، جـ٢، ص١٦١.

(١١١) الافغاني ، اسواق ، ص٢٣٨.

(١١٢) القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي بن احمد بن عبد الله (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ٤ اجزاء، المطبعة الاميرية ، القاهرة – ١٩١٣م، جـ١، ص٤١٠ ؛ نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، تحقيق : علي الخاقاني ، مطبعة النجاح ، بغداد – ١٩٥٨، ص٤٣٥.

(١١٣) علي، المفصل ، جـ٧، ص٣٧٢.

(١١٤) ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٦٤.

(١١٥) الافغاني ، اسواق العرب ، ص١١٤.

(١١٦) ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٦٤.

كان القرشيون ينتقلون من الشمال مكان وجود سوق دومة الجنــدل الى الشرق لكي يصلوا الى سوق المشقر وهو حصن بالبحرين وقريب من هجر[١١٧] ويعود لعبد القيس[١١٨]، اما موعد قيام هذا السوق فكان اول يوم من جمادي الاخرة ويستمر الى نهاية الشهر[١١٩]، وكان العرب يقــصدون هذه السوق وكذلك يقصدها الاجانب من الشرق عن طريــق البحــر[١٢٠]، وكان بنو تميم من بني عبد الله بن زيد يشرفون على هذه السوق ويعشرون الناس فيها[١٢١]، اما التجار الذين يقصدونها فكانوا يتخفرون بقريش لانها لا تؤتى الا في بلاد مضر[١٢٢]، ويشتهر هذا السوق بثياب العقد وهــي مــن البرود[١٢٣]، ثم ينقل القرشيون من شرق الجزيرة الى غربها للتجارة فــي سوق حباشة[١٢٤] حيث يقام بتهامة[١٢٥] في ديار بارق وجاءت هذه التسمية نسبة الى وادي اسمه بارق وتبعد مسافة ست ليالٍ من مكة الى اليمن[١٢٦]،

---

[١١٧] قيل سميت بهجر بنت المكفف زوجة محلم بن عبــد الله صــاحب النهــر الــذي بالبحرين واحيانا يطلق اسم هجر على البحرين كلها. الحموي ، معجــم البلــدان ، ج٥، ص٣٩٣ ، البكري ، معجم ، ص١٣٤٦ ، الالوسي ، بلوغ ، ج١، ص٢٦٥.

[١١٨] الحموي ، معجم البلدان ، جــ٥ ، ص٣٩٣ ، الافغاني ، اسواق ، ص٢٤٠.

[١١٩] ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٦٥.

[١٢٠] الافغاني ، اسواق ، ص٢٤٢.

[١٢١] ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٦٥.

[١٢٢] المصدر نفسه ، ص٢٦٥.

[١٢٣] الواقدي ، المعازي ، جــ٣، ص٩٤٣.

[١٢٤] حباشة: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة ، وحبــشت لــه حباشــة ، أي جمعت له شيئا ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جــ٢، ص٢١٠.

[١٢٥] الازرقي ، اخبار مكة ، جــ١، ص١٩١.

[١٢٦] الافغاني ، اسواق، ص٢٥٨.

وكانت تقام هذه السوق في شهر رجب[١٢٧]، اما اصحابها فهم الازد[١٢٨].

لقد تاجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذه السوق قبل بعثته الشريفة عندما كلفته السيدة خديجة الكبرى (رضي الله عنها)[١٢٩]، ويعد هذا السوق اخر اسواق العرب التي بقيت وظلت قائمة حتى سنة ١٩٧هـ ثم تركت فيما بعد[١٣٠]، كانت سوق الرابية وهي بحضرموت تقام في جنوب الجزيرة العربية فكان لا يصل اليها احد الا بخفارة لانها لم تكن ارض مملكة ، اما وقت قيامها ففي منتصف شهر ذي القعدة حتى اخره ، وكانت تقام مع سوق عكاظ في يوم واحد[١٣١]، كانت قوافل قريش تصل الى هذه السوق ويتخفرون ببني آكل المرار من كنده اما سائر الناس فيتخفرون بال مسروق بن وائل الحضرمي ، ويتم الوصول اليها عن طريق اليمن[١٣٢]، واهم ما تشتهر به هذه السوق هو النعال الحضرمي الذي كان معروفا في مكة[١٣٣]، ومن الاسواق الاخرى سوق دبا[١٣٤] بعمان وسوق صحار بعمان وسوق الشجر وسوق عدن.

---

[١٢٧] علي، المفصل ، جـ٧، ص٣٧٦. [١٢٨] الازرقي ، اخبار مكة ، جـ١، ص١٩١.

[١٢٩] الافغاني ، اسوق ، ص٢٥٨. [١٣٠] الازرقي ، اخبار مكة ، جـ١، ص١٩٢.

[١٣١] ابن حبيب ، المحبر، ص٢٦٧.

[١٣٢] المصدر نفسه ، ص٢٦٧ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ١، ص٢٧٠.

[١٣٣] المقدسي ، التبيين في انساب القرشيين ، ص٢١٣.

[١٣٤] مدينة مشهورة بعمان الى جانب صحار وهي قريبة من البحر وتقع مابين عمان والبحرين. المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص٣١٥ ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، نشر دي غوية ، ليدن ، مطبعة بريل – ١٩٠٦م ، ص٩٣.

بعد غزو الاحباش لليمن واحتلاله ازداد نشاط قـريش التجـاري بشكل كبير مما فتح لها المجال اما حرية العمل التجاري في اليمن فكـانوا يحملون البضائع من اليمن الى مكة وبلاد الشام[١٣٥]، كان المطلب بن عبد مناف اول تجار قريش وهلك باليمن[١٣٦] في احدى رحلاته التجارية اليها ، وتاجر هاشم بن عبد مناف مع اليمن ايضا[١٣٧]، ومن تجار قريش البارزين في اليمن ابو ربيعة بن المغيرة المخزومي وكان ذاء ثراء كبير[١٣٨] وسمي بالعدل[١٣٩]، وكذلك من تجار قريش في اليمن ابو سلمة بن عبـد الاسـد النخزومي[١٤٠]، وكذلك من تجار قريش الذين دخلوا اليمن عبد المطلب بن هاشم وامية بن عبد شمس[١٤١]، وولي عبد المطلب بـن هاشـم الرفـادة والسقاية بعد عمه المطلب بن عبد مناف وكان يطعم الحجاج ويسقيهم[١٤٢]، ثم بعد ذلك وصل الى اليمن بتجارته العباس بن عبد المطلب وابو سـفيان بن حرب[١٤٣]، وايضا من كبار تجار قريش الذين تاجروا مع الـيمن ابـو

---

(١٣٥) علي ، المفصل ، جـ٧، ص٢٨٥. (١٣٦) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢، ص٢٤٦.

(١٣٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ١، ص٧٥.

(١٣٨) الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ٩ ، ص٤٩.

(١٣٩) الازرقـي ، اخبـار مكـة، جـ١ ، ص٢٥٢ ، الاصـفهاني ، الاغـاني ، جـ١، ص٦٤.

(١٤٠) المصدر نفسه ، جـ١٦، ص١٨، المصدر نفسه ، جـ١، ص١٠٢.

(١٤١) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١، ص٨٣.

(١٤٢) يماني ، انها فاطمة الزهراء ، ص٣٣.

(١٤٣) الاصفهاني ، الاغاني ، جـ٦، ص٣٤٩.

بكر الصديق (رضي الله عنه) وكان ينزل عند شيخ مــن الازد[١٤٤]، وان سيدنا محمدا (صلى الله عليه وسلم) خرج مع عمه العباس او عمه الزبيــر تاجرا الى اليمن[١٤٥]، وكانت قريش تقوم بتكليف بعــض رجالهــا بقيــادة قوافلها الى بلاد الشام او اليمن ، كما قام بعض رجالها بتجهيز قوافل لهــم لتتاجر باموالهم[١٤٦].

اما بالنسبة للبضائع والسلع التي كانت تصل من اليمن الــى مكــة سواء أكانت بضائع يمنية أم البضائع التي تصل لليمن من افريقيا والجزر القريبة من سواحل اليمن فاهمها البخور[١٤٧] والتوابــل واللبــان اليمنــي والحرير الصيني والعاج والذهب الاثيوبي والــسيوف الهنديــة والحديــد والفضة والعنبر[١٤٨]، ومن اشهر الــصناعات اليمنيــة صــناعة الجلــود والمنسوجات والبرد اليمانية[١٤٩] والثياب السعيدية وكانت تشتهر بها مدينة

---

[١٤٤] الطنطاوي ، الشيخ علي ، ابو بكر الصديق، ط ٢، المطبعة السلفية ، القــاهرة – ١٣٧٢هـــ ، ص٤٢.

[١٤٥] الديار بكري ، حسين بن محمد (ت٩٦٦هــ/١٥٥٨م) ، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس ، جزءان ، بيروت – بلا ، جــ١، ص٢٦٠.

[١٤٦] الطبري ، تاريخ ، جــ٢، ص٤٩٢ وما بعــدها ، علــي ، المفــصل، جــــ٧، ص٢٩٧.

[١٤٧] العلي، محاضرات ، ص١٧ ، حتي ، تاريخ العرب ، ص٥٦.

[١٤٨] سالم ، تاريخ العرب ، ص٢٨ وما بعدها.

[١٤٩] ابن عبد ربه ، احمد بن محمد (ت٣٢٨هــ/٩٣٩م) ، العقــد الفريــد ، تحقيــق احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التــأليف والترجمــة =

صنعاء[١٥٠]، واشتهرت نجران بصناعة الحلل التي كانت ترسل الى مكة ، ومن السلع الاخرى التي كانت تتاجر بها مكة الأدم والصمغ والطيب والتبر ، والمعادن الاخرى وكان تجار مكة يشترونه من معادنه ومواضعه ويبيعونه في الاماكن التي لا تتوفر فيها هذه السلع مما جعل قريشا تربح ربحا كثيرا[١٥١]، كان لقريش علاقات اقتصادية وتجارية كبيرة مع الطائف وارتبطت المدينتان مع بعضهما ارتباطا وثيقا وكانتا تسمى القريتين وذكرت في القرآن الكريم قال تعالى: «وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»[١٥٢].

كان بعض اغنياء قريش يملكون بساتين ومزارع في الطائف ويذهبون الى هناك لقضاء الصيف باعتباره مصيفا لاهل قريش فضلا عن تجارتهم مع هذه المدينة ، كان عتبة وشيبة من ربيعة يملكان بستانا في مدينة الطائف وعندما ذهب سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) لدعوة اهلها للاسلام استظل بها[١٥٣]، وكذلك كان لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أملاك بركية في ارض الطائف وكذلك ملك العباس عم الرسول (صلى الله

= والنشر ، ٤ اجزاء ، القاهرة – ١٩٤٨-١٩٥٣م، جـ٢، ص٢١، الاصفهاني ، الاغاني، جـ١٢ ، ص ٤٦ ، علي ، المفصل ، جـ٧، ص٣٠٧.

(١٥٠) سالم ، تاريخ ، ص٣٢.

(١٥١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ٢، ص٢١ ، الاصفهاني ، الاغاني ، جـ١٢، ص٤٦.

(١٥٢) القرآن الكريم ، سورة الزخرف ، اية ٣١ ، ابن كثير ، التفسير ، جـ٤ ، ص١٢٢.

(١٥٣) ابن هشام ، السيرة ، جـ١، ص٦١.

عليه وسلم) مزرعة خاصة بالكروم وكان يمزج الزبيب الذي ينتجه منها في سقاية الحجيج[١٥٤]. تشتهر الطائف بالبساتين ومزارع النخيل والاعناب وانواع عديدة من الفواكه المختلفة التي ترسل الى مكة[١٥٥].

ثانيا: تجارة قريش الخارجية

كان تجار مكة من ابرع التجار وانشطهم في العربية الغربية عند ظهور الاسلام ، واشار القرآن الكريم الى تجارتهم[١٥٦]، واشتهرت قريش بالتجارة الخارجية التي كانت تسير القوافل التجارية الى خارج الجزيرة العربية وتقسم الى خمسة اقسام:

اولا: تجارة قريش الخارجية مع بلاد الشام:

كانت بلاد الشام أول مدينة تاجرت معها قريش في تجارتها الخارجية ، كما ذكر القرآن الكريم في سورة ايلاف قريش ، وذكر ان قريشا تاجرت في الشتاء الى بلاد الشام فضلا عن رحلة الصيف[١٥٧]، وكان في الشام اسواق عديدة تتاجر معها قريش اهمها بصرى وغزة[١٥٨]، وايلة[١٥٩]، وسوق دير ايوب[١٦٠]، اما فيما يتعلق بالبضائع والسلع التي كانت تصل الى بلاد الشام من مناطق اخرى ويتم تصديرها الى مكة فهي

---

(١٥٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، جـ١ ، ص٥٧.

(١٥٥) ابن جبير ، ابو الحسن محمد بن احمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) ، رحلة بن جبير ، دار الهلال ، بيروت – ١٩٨١، ص٨٨.

(١٥٦) علي ، المفصل ، جـ٧ ، ص٢٨٥. (١٥٧) الطبري ، تاريخ ، جـ٢، ص٤٩٣.

(١٥٨) ابن سعد ، الطبقات ، جـ. ص٧٥. (١٥٩) العلي ، محاضرات ، ص٩٧.

(١٦٠) الافغاني ، اسوق ، ص٣٦٣.

الزيت[161] والقمح فضلا عن مصنوعات فينيقية[162]، والمصوغات الفضية[163]، ان اول تجار قريش الى الشام هو هاشم بن عبد مناف وكان يتاجر الى غزة وتوفي هاشم في رحلة من رحلاته في الشام ودفن في غزة[164]، ومن تجار قريش ايضا طلحة بن عبيد الله وكان يتاجر بالثياب البيض ومتجره في سوق بصرى[165]، وتاجر خداش بن عبد الله بن ابي قيس ومعه عمرو بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف[166]، وتاجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع عمه ابي طالب وكذلك ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) تاجر الى بلاد الشام[167]، واتجر عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) الى مدينة غزة والعباس بن عبد المطلب الى بلاد الشام[168]، فضلا عن صفوان بن امية[169]، وأبي سفيان بن حرب تاجر مع أبي العاص الى الشام في غزة[170]، وكان دحية بن خليفة الكلبي يتجر مع بلاد الشام بالزيت والطعام[171]، ومن تجار قريش الكبار الذي تاجر الى الشام عبد الرحمن بن عوف[172].

---

(١٦١) علي ، المفصل ، جـ٧، ص٢٩٣.

(١٦٢) الشريف ، احمد ابراهيم ، مكة والمدينة ، ص٢٠٦.

(١٦٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢، ص٨٧.

(١٦٤) ابن هشام ، السيرة ، جـ١، ص١٢٢، ابن حبيب ، المحبر، ص١٦٢.

(١٦٥) المقدسي ، التبيين ، ص٢٨٤.

(١٦٦) ابن حبيب ، المنمق ، ص١٤٠. (١٦٧) الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج١، ص٢٦١.

(١٦٨) الافغاني، اسواق ، ص٣١. (١٦٩) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢، ص٨٧.

(١٧٠) ابن هشام ، السيرة ، جـ١، ص١٢٨. (١٧١) علي ، المفصل ، جـ٧، ص٢٩٤.

(١٧٢) المقدسي ، التبيين ، ص٢٨٤.

ومن البضائع التي كانت تنقلها قريش من اسوقها الى الشام التمر والفضة ، وكانت تعشر تجار الروم الذين كانوا يفدون على مكة عن طريق البحر والبر لغرض التجارة بالطريقة التي كان يعشر بها الروم تجار قريش عندما كانوا يذهبون الى بلاد الشام للغرض نفسه [١٧٣].

ثانيا: التجارة مع العراق: كانت لاهل العراق علاقات تجارية واسعة مع اهل مكة ، وكان التجار القادمون من مكة الى العراق يمتارون منهن التمر والحب والثياب[١٧٤]، وبشكل خاص عرب الحيرة الذين عرفوا بنشاطهم في الاسواق وباتجارهم مع اسواق مكة وغيرها حتى قيل (انك لا ترى بلدا في الارض ليس فيه حيري)[١٧٥]، كما اشتهر اهل الحيرة بحذقهم في الصيرفة وفي بيع الفلوس[١٧٦]، واول تجار قريش مع العراق نوفل بن عبد مناف[١٧٧]، وتاجر ابو سفيان مع اهل العراق وله صلات برؤساء الحيرة وملوكها وتجارها وكان يفد على كسرى ملك الفرس[١٧٨]، ويحمل الهدايا تقربا اليه ، ذهب مرة ومعه خيل وادم فقبل كسرى الخيل ورد الادم واعطاه هدايا والطافا ، وكان من مصلحة كسرى التقرب الى أهل مكة لانهم كانوا تجارا ، وكانوا على طريق مهم وفي مركز خطير من الناحية

---

(١٧٣) الازرقي ، اخبار مكة ، جـ١، ص١٦٠.

(١٧٤) الطبري ، تاريخ ، جـ١، ص٥٥٨.

(١٧٥) الهمذاني ، ابن الفقيه احمد بن محمد (ت٢٨٩هـ/٩٠٢م) ، مختصر كتاب البلدان ، نشر دي غوية ، ليدن ، بريل – ١٣٠٢هـ، ص٥١.

(١٧٦) علي ، المفصل ، جـ٧، ص٢٩٦.

(١٧٧) ابن حبيب ، المحبر ، ص١٦٣.

(١٧٨) الاصفهاني ، الاغاني ، جـ٩، ص٥٢.

السياسة والتجارية ، وكان كسرى يتاجر مع العرب ويتبايع معهم ، ولهذا كان يجامل اهل مكة ويتصل بهم[١٧٩]، وتاجر الحكم بن العاص بن امية مع اهل الحيرة يحمل معه العطور[١٨٠]، كان لمسافر بن عمرو صلات قوية بملوك الحيرة[١٨١] وتجارها وكان جمالا وجودا وشعرا ، كان يتاجر مع العراق ويربح من تجارته كثيرا ، فخرج الى الحيرة وهلك عند الملك النعمان بن المنذر ورثاه ابو طالب ، وتاجر مع اهل الحيرة عبد الله بن جدعان وهو من اثرياء مكة وتجارها وهو اثرى قريش في ايامه ، واليه تنسب قصة ادخال الفالوج الى اهل مكة[١٨٢].

اما اهم البضائع التي يجلبها تجار قريش من العراق فهي المسك والعنبر والجواهر والكافور والعود الدارصيني[١٨٣]، التي كانت تصل الى العراق من الصين والهند ، اما تجار قريش فكانوا يحملون معهم الفضة لان عملة اهل العراق كانت اكثرها من الفضة[١٨٤]، لقد ضعفت تجارة قريش وقلت مع العراق بعد وفاة نوفل بن عبد مناف وظلت كذلك ولم تنشط الا في فترة قريبة من ظهور الاسلام[١٨٥].

ثالثا: التجارة الخارجية لقريش مع الحبشة: كان لمكة صلات تجارية مع الحبشة عن طريق البحر الاحمر ، وتعد الحبشة واجهة تجارية لقريش في

---

(١٧٩) علي ، المفصل ، جـ٧ ، ص٢٩٤.

(١٨٠) الاصفهاني ، الاغاني ، جـ١٦، ص٩٥. (١٨١) المصدر نفسه ، جـ٩، ص٥٢.

(١٨٢) علي ، المفصل ، جـ٧، ص٢٩٥. (١٨٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢، ص٣٦.

(١٨٤) البلاذري ، فتوح البلدان، ص٤٤٩. (١٨٥) الاصفهاني ، الاغاني ، جـ٦، ص٩٥.

مكة[١٨٦]، ولم تكن لقريش معرفة بركوب البحر سوى ما كانت تعتمد عليه من سفن مصرية وحبشية[١٨٧]، وقد ادى الاتصال الوثيق بين مكة والحبشة الى اكتسابهم منافع تجارية كثيرة في تلك البلاد[١٨٨]، واتصل هاشم بن عبد مناف بالنجاشي ملك الحبشة عندما سافر اليها[١٨٩]، وعقد أخوه عبد شمس ايلافا مع النجاشي[١٩٠]، وممن تاجر مع الحبشة من قريش عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص[١٩١]، وأهم مانقله القرشيون في تجارتهم الى الحبشة الآدم العكاظي وسمي بهذا الاسم نسبة الى سوق عكاظ حيث كان يباع[١٩٢].

رابعا: تجارة قريش مع اليمن: لقد ادى تردي الاوضاع السياسية والاضطرابات المستمرة التي وقعت بين اهل اليمن والغزاة الاحباش عند دخول اليمن الى استفادة اهل مكة من هذا الوضع السيء فيها[١٩٣]، فانحسر النفوذ السياسي والعسكري لحكومات اليمن في الحجاز او على بعض القبائل ، وهنا اصبحت لقريش فرصة كبيرة لاستغلالها في التجارة ، فقامت بدور الوسيط لنقل تجارة اهل اليمن والعربية الجنوبية الى اسواق فلسطين وتنقل تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط الى الحجاز ونجد واليمن ، مما جعلها تحصل على ارباح طائلة وكبيرة جعلت منها اغنى

---

[١٨٦] الاصفهاني ، الاغاني، جـ٦، ص٥٤. [١٨٧] علي، المفصل ، جـ٤، ص١١٥.

[١٨٨] المرجع نفسه ، جـ٧، ص٢٩٧. [١٨٩] ابن سعد ، الطبقات ، جـ١، ص٧٥.

[١٩٠] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٦٣. [١٩١] الاصفهاني ، الاغاني ، جـ٩، ص٥٥.

[١٩٢] ابن هشام، السيرة ، جـ١، ص٢٨٨. [١٩٣] علي ، المفصل ، جـ٧ ، ص٢٨٥.

قبائل العرب عند ظهور الاسلام ، وبذلك اصبحت مكة اكبر مراكز التجارة والثروة والمال في جزيرة العرب كلها في ذلك الوقت[١٩٤].

خامسا : تجارة قريش مع اهل مصر : لقد وصل اهل مكة بتجارتهم الى مصر ، كما اشار القرآن الكريم في عدد من الآيات القرآنية الى مصر ونيلها[١٩٥]، حيث كانت قوافل مكة تخرج بتجارتها وتذهب الى مقوقس مصر[١٩٦]، اما نقل البضائع من مصر الى الحجاز فيتم عن طريق البحر[١٩٧]، واهم صادرات مصر الى مكة البز المصري والاقمشة المصرية مشهورة في مكة وكان يطلقون عليها اسم القباطي وكل البضائع المصدرة والمستوردة تصل الى القصير[١٩٨] عن طريق البحر ومنه الى القفط[١٩٩]، واشهر تجار مكة الذين تاجروا مع اهل مصر عبد الله بن جدعان[٢٠٠].

---

[١٩٤] المرجع نفسه ، جـ٧، ص٢٨٥. [١٩٥] الشريف احمد ، مكة والمدينة ، ص٢٠٩.

[١٩٦] كستر ، م.ج ، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة : يحيى الجبوري ، بغداد – ١٩٧٦م ، ص٦٦.

[١٩٧] اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٢٠.

[١٩٨] الحموي ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٣٦٧.

[١٩٩] المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص٣٨٣.

[٢٠٠] الافغاني ، اسواق ، ص٢٥.

الخاتمـــة

يتبين لنا من خلال البحث انه كان لمكة اهمية كبيرة منذ القدم وتطورت بسبب موقعها المتميز على طريق التجارة الغربي ، هذا من جانب ، اما من الجانب الآخر فكان بسبب اهميتها الدينية التي كانت تتمتع بها لانها تضم بيت الله الحرام والكعبة الشريفة ، الذي بناه ابراهيم الخليل (عليه السلام) ، والذي تقدسه جميع القبائل العربية ، وكان لقبيلة قريش دور بالغ الاهمية لجعـل مكة مدينة متميزة وتأثيرها واضح داخل جزيرة العرب وخارجهـا كمـا حظيت بأحترام حكام الدول المحيطة بالجزيرة العربية وملوكها .

ساهمت قريش اسهاما كبيرا وبارزا في تطـور التجـارة الداخليـة والخارجية لشبه جزيرة العرب ولاسيما بعد عقدها الايـلاف مـع المـدن المجاورة وبذلك سيطرت على الطرق الرئيسة داخل الجزيرة ، وجعلوا من مكة ، مدينة اقتصادية وتجارية كبيرة ، فأجتذبت بذلك القبائل العربية مـن مختلف المناطق الى اسواقها الكثيرة للتجارة فيها وتبادل البضائع والـسلع مع اهل مكة ، فضلا عن الموقع الجغرافي والطبيعة المناخية التي كانـت تتمتع بها جزيرة العرب انذاك ، وهذا اثـر تـأثيرا بالغـا فـي النـشاط الاقتصادي والتجاري وانتعاشه فيها ، فضلا عن تميزها بكثـرة البـضائع والسلع التجارية الداخلة الى اسواقها الكثيرة والخارجة منها ، وبالتالي ادى هذا كله الى نمو وانتعاش الحياة الاقتصادية وانتعاشها لاهل مكـة عامـة ولقريش خاصة فظهرت طبقة من الاغنيـاء والاثريـاء فيهـا ، وكـانوا يتاجرون بمختلف البضائع والسلع بين اهل مكة والـدول المجـاورة لهـا كالشام واليمن والعراق والحبشة ومصر .

المصـــــادر

اولا: المصادر العربية الاولية

١. القرآن الكريم

● ابن اسحاق ، محمد المطلبي (ت١٥١هـ/٧٦٨م).

٢. السير والمغازي ، ط١، تحقيق: سهيل زكار ، دمشق – ١٩٧٨م.

● ابن جبير ، ابو الحسن محمد بن احمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م).

٣. رحلة بن جبير ، دار الهلال ، بيروت – ١٩٨١م.

● ابن حبيب ، ابو جعفر محمد البغدادي (ت٢٤٥هـ/٩٥٦م).

٤. المنمق في اخبار قريش ، تحقيق: خورشيد احمد فاروق ، ط١ ، الهند ، حيدر آباد – ١٩٦٤.

٥. المحبر ، تحقيق : ايلزة ليختن شتيتر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند – ١٩٤٢.

● ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) .

٦. الطبقات الكبرى، ٩ اجزاء، دار صادر، بيروت – ١٩٥٧م .

● ابن عبد ربه ، احمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) .

٧. العقد الفريد ، تحقيق : احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ٤ اجزاء، القاهرة – ١٩٤٨-١٩٥٣م .

● ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م).

٨. تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، تحقيق : مصطفى جواد ، نسخة مصورة ، دمشق –١٩٦٣.

● ابن كثير ، ابو الفدا عماد الدين اسماعيل ابن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ ، ١٣٧٢م).

٩. تفسير القرآن ، ٤ اجزاء ، مكتبة الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة – بلا.

● ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م).

١٠.لسان العرب المحيط ، ٤ اجزاء ، اعداد : يوسف خياط، بيروت – بلا.

● ابن هشام ، محمد بن عبد الملك – ت ٢١٨هـ .

١١. السيرة النبوية ، ٤ اجزاء، تحقيق : طه عبد الرزاق سعيد ، بيروت – ١٩٧٥.

● الأزرقي ، ابو الوليد محمد بن عبد الله (ت٢٢٣هـ/٨٣٧م).

١٢. اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، تحقيق : رشدي الصالح ، جزءان في مجلد واحد، بيروت – ١٩٦٩م.

● الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م).

١٣. الاغاني ، ٢١ جزء ، طبعة دار الثقافة ، بيروت – ١٩٥٦م.

● البكري ، ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

١٤. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة – ١٩٤٩م.

● البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).

١٥. فتوح البلدان ، ط١ ، مكتبة الهلال ، بيروت – ١٩٨٣م.

١٦. انساب الاشراف ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت – ١٩٧٩م.

● الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م).

١٧. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق : محمد ابو الفضل ، القاهرة – ١٩٦٥م.

● الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م).

١٨. البيان والتبيين ، ٣ اجزاء، تحقيق : حسن السندومي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة – ١٩٥٦م.

١٩. كتاب الحيوان ، ٧ اجزاء ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة – ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

● الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٢٠. معجم البلدان ، ٥ اجزاء ، دار صادر، بيروت – ١٩٥٧م.

● الديار بكري ، حسين بن محمد (ت٩٦٦هـ/١٥٥٨م).

٢١. تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس ، جزءان ، بيروت – بلا.

● السهيلي ، عبد الرحمن الخشعمي (ت٥٨١هـ/١١٨٥م).

٢٢.الروض الانف في شرح السيرة النبوية ، تحقيق : عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة – بلا.

● الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).

٢٣.تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ اجزاء، تحقيق : محمد ابو الفضل ، القاهرة – ١٩٦٠م.

٢٤.تفسير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، دار المعرفة ، بيروت – ١٩٨٠م .

● الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت١٧٥هـ/٧٩١م)

٢٥.كتاب العين ، ٨ اجزاء ، تحقيق: د. مهدي المخزومي ، د. ابراهيم السامرائي ، مطابع كويت تايمز، كويت – ١٩٨٢.

● القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي بن احمد بن عبد الله (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

٢٦.صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ٤ اجزاء ، المطبعة الاميرية ، القاهرة – ١٩١٣-١٩١٩م.

٢٧.نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، تحقيق: علي الخاقاني ، مطبعة النجاح ، بغداد – ١٩٨٥م.

● المرزوقي ، ابو علي احمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م).

٢٨.الازمنة والامكنة ، جزءان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية` حيدر آباد ، الدكن ، الهند – ١٩١٣م.

● المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م).

٢٩.احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، نشر: دي غوية ، ليدن ، مطبعة بريل – ١٩٠٦م.

● المقدسي ، موفق الدين ابو محمد غبد الله بن احمد (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م).

٣٠.التبيين في انساب القرشيين ، تحقيق : محمد نايف الدليمي ، ط١، بغداد – ١٩٨٢.

● المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م).

٣١.مروج اذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ٤ اجزاء ، ط٤ ، مصر – ١٩٦٤م.

● النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م).

٣٢.نهاية الارب في فنون الادب ، مصر – بلا.

● الهمذاني ، ابن الفقيه ، احمد بن محمد (ت٢٨٩هـ/٩٠٢م).

٣٣.مختصر كتاب البلدان ، نشر : دي غويه ، ليدن ، بريل – ١٣٠٢هـ .

● الواقدي ، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م).

٣٤.المغازي ، ٣ اجزاء، تحقيق : مارسدن جونسن ، بيروت – ١٩٦٦م.

● اليعقوبي ، احمد بن واضح بن ابي يعقوب (ت٢٨٤هـ/٨٩٢م).

٣٥.تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت – بلا.

ثانيا: المراجع العربية الحديثة

● الافغاني ، سعيد.

١. اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق – ١٩٦٠م.

● الالوسي ، محمود شكري الالوسي البغدادي .

٢. بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، ٣ اجزاء في مجلد واحد ، تصحيح: محمد بهجة الاثري ، مصر – ١٣٤٢م.

● الشريف ، احمد ابراهيم.

٣. مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ط٢ ، دار الفكر ، القاهرة – ١٩٦٥م.

● امين ، احمد .

٤. فجر الاسلام ، بيروت – ١٩٦٩م.

● بافقيه ، محمد عبد القادر.

٥. تاريخ اليمن القديم ، بيروت – ١٩٧٣م.

● البستاني ، بطرس .

٦. الحجاز والدولة الاسلامية دراسة اشكالية العلاقة بالسلطة المركزية فـــي القــرن الاول الهجري ، بيروت – ١٩٨٣م.

- بيضون ، ابراهيم .

٧. محيط المحيط . نسخة طبق الاصل عن طبعة بيروت – ١٨٧٠م.

- حتي ، فيليب وزميلاه .

٨. تاريخ العرب مطول ، ط٤ ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع – ١٩٦٥م.

- الحديثي ، نزار عبد اللطيف .

٩. محاضرات في التاريخ الاسلامي ، بغداد ١٩٧٩م.

- دروزة ، محمد عزة .

١٠. عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) وبيئته قبل البعثة ، دار اليقظة ، بيــروت – ١٩٦٤م.

- زيدان ، جرجي.

١١. تاريخ العرب قبل الاسلام ، جـ١، مطبعة الهلال ، ط٣ ، مصر – ١٩٣٩م.

- سالم ، السيد عبد العزيز.

١٢. دراسات في تاريخ العرب وعصر ما قبل الاسلام ، الاسكندرية – ١٩٦٧م.

- صالح ، احمد عباس.

١٣. اليمين واليسار في الاسلام ، بيروت – ١٩٧٢م.

- الطنطاوي ، الشيخ علي.

١٤. ابو بكر الصديق ، ط٢ ، المطبعة السلفية ، القاهرة – ١٣٧٢م.

- عاقل ، نبيه .

١٥. تاريخ العرب القديم .

- العطار ، محيي الدين بن الشيخ ابراهيم .

١٦. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٣، ١٠ اجزاء ، بغداد – ١٩٨٠م .

- علي ، جواد .

١٧. بلوغ الارب في مآثر العرب ، مطبعة الصفا ، لبنان – ١٣١٩هـ.

- العلي ، صالح احمد.

١٨. محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جـ١، الموصل – ١٩٨١م.

- كستر ، م. ج.

١٩. الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية ، ترجمة : يحيى الجبوري ، بغداد – ١٩٧٦م.

- يماني ، محمد عبده .

٢٠. انها فاطمة الزهراء ، دار القبلة للثقافة الاسلامية ، جده ، المنار للنشر والتوزيع ، ط٢، دمشق – ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

تاثير نظام دفع العجلات وعمق الحراثة
والسرع العملية في بعض مؤشرات الأداء الحقلي
للجرار Solis 90 مع المحراث المطرحي القلاب

صبا عبد العزيز الحديثي
كلية الزراعة / جامعة بغداد

الملخص :

نفذ البحث في احد حقول محطة بحوث ابي غريب التابعة للهيئة العامة للبحوث الزراعية في منطقة ابي غريب خلال شهر اذار من عام ٢٠١٠ بهدف معرفة تغير نسبة الانزلاق ، مقاومة قوة السحب ، استهلاك الوقود والانتاجية العملية بتاثير نظام الدفع للجرار Solis 90 وعمق الحراثة والسرعة الحقلية في اثناء الحراثة بالمحراث المطرحي الثلاثي ، نفذ البحث بترتيب الالواح المنشقة- المنشقة على وفق تصميم RCBD بثلاث مكررات ، شغل نظام الدفع (2WD و4WD) الالواح الرئيسة في حين ايضا شغل عمق الحراثة (٢٠ و ٢٥) سم الالواح الثانوية في حين شغلت السرع (2L و3L و4L و 1H و 2H) الالواح تحت الثانوية . اظهرت النتائج ان استخدام نظام الدفع الرباعي 4WD ادى الى تقليل نسبة الانزلاق بنسبة ٣١٪ كما ادى استخدام هذا النظام الى زيادة مقاومة السحب بنسبة ٦,٢٥٪ وزاد استهلاك الوقود بحدود ١٨,٧٠٪ في حين ارتفعت الانتاجية العملية بنسبة ٨,٧٪ ، بزيادة عمق الحراثة وزادت نسبة الانزلاق بنسبة ٨٨٪ وزادت مقاومة السحب بنسبة ٢٥,٤٠٪ كما

زاد استهلاك الوقود بنسبة ١٩٪ في حين انخفضت الانتاجية العملية بنسبة ٢٧,٣٠٪ ، كما سجلت زيادة السرعة العملية زيادة في نسبة الانزلاق بنسب زيادة ١٢,٢٩، ١٦,٢٠، ٣ و ٢٠٪ وزيادة مقاومة السحب بنسبة ٢٩، ٧، ٦ و ٣٪ وزاد استهلاك الوقود أيضا بنسبة ١١، ٢٩ ، ٦ و ٧٪ واخيرا ارتفعت الانتاجية العملية بنسبة ٦٠، ١٦، ١٢٪ .

المقدمـــة :

تعتبر عملية الحراثة من العمليات الزراعية المهمة نظرا لاستغلالها اكثر من ٣٥٪ من القدرة المستخدمة في العملية الزراعية ، بيَّن (١٣) ان نظام الدفع الرباعي المساعد الموجود في الجرارات ذات الدفع الثنائي يعمل على تحسين اداء الجرار من خلال تقليل الانزلاق في الاطارات ووجد في دراسته تاثير نظامي الدفع في مقاومة قوة السحب ان نظام الدفع الرباعي سجل اعلى مقاومة سحب بحدود ٨٠٠ كغم . قوة في حين سجل النظام الثنائي اقل مقاومة سحب وكانت ٤٥٠ كغم . قوة .

ذكر (٣) ان نسبة الانزلاق تزداد بزيادة السرعة العملية اذ وجد أنه بزيادة السرعة من 1H الى 2H وعلى عمق ١٥سم زادت نسبة الانزلاق من ٦,٨٢ الى ١١,٢٢٪ كما وجد انه بزيادة عمق الحراثة من ٢٠ الى ٢٥سم زادت نسبة الانزلاق من ١٢ الى ٢٣٪ . واشار (٧) الى أنَّه بزيادة عمق الحراثة من ١٥ الى ٢٠ ثم الى ٢٥ سم زادت المقاومات التي يتعرض لها المحراث وزادت نسبة الانزلاق من ٢,٩ الى ٥ ثم الى ٧,٦٪ باستخدام المحراث المطرحي .

وجد (٦) في دراسة تأثير عمق الحراثة باستخدام المحراث المطرحي انه بزيادة عمق الحراثة من ١٧ الى ٢١ سم تاثرت كل من نسبة الانزلاق ومقاومة قوة السحب والانتاجية العملية اذ زادت نسبة الانزلاق من ٨ الى ١٢٪ وزادت أيضا مقاومة السحب ٢٠٠٠ الى ٢٤٠٠ كغم . قوة ايضا في حين قلَّت الانتاجية من ٠,٦ الى ٠,٤ دونم / ساعة

بيَّن كل من (٤) و (٥) و (٩) علاقة طردية بين السرعة وقوة مقاومة السحب حيث وجد الاخير ان السرعة ٢,٣كم/ساعة سجلت مقاومة ١٠٠٨ كغم وبزيادة السرعة الى ٩ كم/ساعة زادت مقاومة السحب الى ١٢٥٦كغم .

ذكر (١١) ان زيادة سرعة الحراثة تؤدي الى زيادة استهلاك الوقود بسبب زيادة مقاومة السحب التي تؤدي الى زيادة الحمل الواقع على محرك الجرار وبالتالي يزداد معدل استهلاك الوقود .

بيَّن (١٢) ان زيادة السرعة العملية تؤدي الى زيادة نسبة الانزلاق واشار الى ان استهلاك الوقود يزداد مع زيادة السرعة العملية للحراثة .

بيَّن كل من (٨) و (١٠) ان زيادة سرعة الحراثة مع ثبات الرطوبة تؤدي الى زيادة الانتاجية العملية ووجد الاخير ان زيادة السرعة العملية من ٥,٦٥ الى ٦,٣٠ كم / ساعة ادى الى زيادة الانتاجية من ١,٩٢ الى ٢,١٢ دونم/ ساعة ، كما وجدت (١) ان بزيادة السرعة العملية بنسبتي زيادة مقداريهما ٢٦,٠٦١٪ و٩٨,٧٨٢٪ على التوالي ازدادت الانتاجية العملية بنسبتي زيادة مقداريهما ١٨,٧٣٢٪ و ٨٨,٤٧٣٪ على التوالي.

المواد وطرائق البحث

نفذ البحث في الهيئة العامة للبحوث الزراعية خلال شهر اذار من عام ٢٠١٠ في تربة مزيجية طينية بمعدل رطوبة ١٤-١٥٪ متروكة لاكثر من عامين ، استعمل جرار Solis 90 ذو الدفع الثنائي الذي يمتاز بوجود نظام الدفع الرباعي المساعد واستخدم المحراث المطرحي الثلاثي نوع ناردي في التجربة ثبتت سرعة المحرك عند ٢٢٠٠ دورة/دقيقة ، نفذت التجربة حسب تصميم القطاعات الكاملة المعشاة على وفق نظام الالواح المنشقة المنشقة Randomized Complete Block Design (٢) بثلاثة مكررات شغل نظامي الدفع الثنائي والرباعي(2WD و4WD) الالواح الرئيسة في حين شغل عمق الحراثة (٢٠ و ٢٥) سم الالواح الثانوية وشغلت السرع (2L و2L و 3L و4L و 1Hو 2H) التي كانت بمعدل سرعة عملية (٢,٧٥ ، ٤,٦٢ ، ٥,٧٥ ، ٦,٧٠ ، ٧,٥٠) كم/ساعة على التوالي الالواح تحت الثانوية . اما خطوات تنفيذ التجربة فكانت كما يأتي :

١-تم حساب نسبة الانزلاق اولا بعد وضع علامة على الاطار الخلفي للجرار وحساب المسافة المقطوعة لـــ ٥ دورات بدون حراثة ثم اعيد حساب المسافة المقطوعة لجميع المعاملات عند الحراثة و لنفس عدد الدورات وبثلاثة مكررات .

٢-حددت مسافة الوحدة التجريبية ٣٥ متر مع ترك مسافة ١٥ متر لكي يكتسب الجرار الاستقرارية في العمل .

٣-سير الجرار الاول بعد ربط المحراث بحيث يكاد يلامس الارض ولنفس المسافة المتقدم ذكرها وذلك لحساب السرعة النظرية ، تم اعادة هذه الخطوة لكل نظام دفع ولكل سرعة وبثلاثة مكررات .

٤-تم ربط الجرار الثاني المساعد الذي كانت عتلة صندوق السرع فيه على وضع الحياد خلف الجرار الاول وربط بينهما جهاز الداينموميتر مع شد المحراث في نهاية الجرار الثاني بحيث يكاد يلامس الارض وسير الجرار الاول وبدون حراثة ، لكل نظام دفع ولكل سرعة تم اعادة هذه الخطوة بثلاثة مكررات واخذت قراءات قوة مقاومة التدحرج FRM .

٥- اعيدت الخطوة رقم ٤ ولكن مع الحراثة وبثلاثة مكررات ولمسافة ٣٥ متر وقياس قوة الدفع الكلي للجرار مع المحراث في اثناء الحراثة من خلال اخذ ٥ قراءات من جهاز الداينموميتر مع حساب الزمن العملي لكل وحدة تجريبية وتسجيل الزمن والمسافة العملية المقطوعة وذلك لحساب السرعة العملية واخذ قراءات للعرض الشغال الفعلي وذلك لحساب الانتاجية العملية.

٦-تم حساب مقاومة قوة سحب المحراث FT ولكل معاملة من خلال طرح قوة الدفع الكلي FPU من قوة مقاومة التدحرج FRM.

٧- تم حساب معدل استهلاك الوقود لكل معاملة.

النتائج والمناقشة

النسبة المئوية للانزلاق (٪) :

يبيِّن جدول (١) ان نظام الدفع 4WD سجل انخفاضا معنويا في النسبة المئوية للانزلاق كانت ١٢,٤٨٪ في حين سجل نظام الدفع 2WD اعلى نسبة مئوية للانزلاق وكانت ١٨,٠٢٪ أي بنسبة انخفاض ٣١٪ عن نظام الدفع 2WD والسبب يعود في ذلك إلى أَن نظام الدفع الرباعي يحسن من تماسك الاطارات مع التربة من خلال مساعدة العجلات الامامية للعجلات الخلفية بتوليد عزم دوران اضافي ، نجد أيضا ان زيادة عمق الحراثة من ٢٠ الى ٢٥ سم سجل زيادة واضحة في النسبة المئوية للانزلاق من ١٠,٥٩ الى ١٩,٩١٪ ، وسجلت زيادة السرع بالتعاقب زيادة معنوية في النسبة المئويةَ للانزلاق بلغت ١٦,٦٦،١٦,٢٠،١٢,٤٩،١٠,٧٨ و ٢٠,١٤٪ على التوالي أي بنسب زيادة ١٦,٢٠،١٢,٢٩، ٣ و ٢٠٪ على التوالي.

وتفوَّق التداخل الثلاثي بين نظام الدفع 4WD عند العمق ٢٠سم والسرعة 2L في الحصول على اقل نسبة مئوية للانزلاق وكانت ٦,٦٥٪ ، اما اعلى نسبة مئوية للانزلاق فنتجت من تداخل كل من نظام الدفع 2WD مع العمق ٢٥سم والسرعة 2H اذ بلغت نسبة الانزلاق ٣٢,٤٥٪.

جدول (١) تاثير نظام الدفع للجرار وعمق الحراثة والسرعة العملية

وتداخلاتها في النسبة المئوية للانزلاق ٪ .

نظام الدفع	عمق الحراثة سم	السرعة العملية					المعدل	
		2L	3L	4L	1H	2H		
2WD	٢٠	٨,٦٤	٩,٣٩	١٢,٩٦	٩,٦٧	١٦,٧٣	١١,٤٧	١٨,٠٢
	٢٥	١٧,٦٩	١٨,١٧	٢٧,٣٣	٢٧,٢٦	٣٢,٤٥	٢٤,٥٨	
4WD	٢٠	٦,٦٥	٨,٤٣	٧,٨٨	١٢,٥٥	١٣,٠٩	٩,٧٢	١٢.٤٨
	٢٥	١٠,١٤	١٣,٩٩	١٦,٦٥	١٧.١٩	١٨,٣١	١٥,٢٥	
المعدل		١٠,٧٨	١٢,٤٩	١٦,٢٠	١٦.٦٦	٢٠,١٤		
L.S.D 0.05	نظام الدفع: ٠,٩٨٨	عمق الحراثة: ٠,٣٥٤	السرعة ٠,٩٣٧	التداخل: ١,٧٥٢				

مقاومة قوة السحب كغم . قوة :

من جدول (٢) يظهر ان نظام الدفع 4WD سجل اعلى مقاومة لقوة السحب بلغت ٨٢٣,٦٩ كغم . قوة في حين سجل النظام الاخر اقل مقاومة لقوة السحب بلغت ٧٧٥,٢٠ كغم . قوة أي بنسبة زيادة ٦,٢٥٪ ، كما سجل زيادة عمق الحراثة زيادة معنوية في مقاومة قوة السحب اذ سجل العمق ٢٠سم مقاومة قوة سحب بلغت ٧٠٩,٤٥ كغم. قوة في حين سجل العمق ٢٥سم مقاومة لقوة السحب وكانت ٨٨٩,٥ كغم. قوة أي بنسبة زيادة ٢٥,٤٠٪ ، ادت زيادة السرعة العملية بالتتابع الى زيادة معنوية في مقاومة قوة السحب وبنسب زيادة على التوالي ٢٩، ٧، ٦ و ٣٪.

تفوّق التداخل الثلاثي بين نظام الدفع 2WD والعمق ٢٠سم والسرعة 2L في تحقيق اقل مقاومة لقوة السحب وكانت ٤٣١,١٠ كغم. قوة في حين سجل تداخل نظام الدفع 4WD مع العمق ٢٥سم والسرعة 2H اعلى مقاومة لقوة السحب وبلغت ١٠١١,٩٠ كغم. قوة

جدول (٢) تاثير نظام الدفع للجرار وعمق الحراثة والسرعة العملية وتداخلاتها في قوة السحب كغم . قوة

نظام الدفع	عمق الحراثة سم	السرعة العملية					المعدل	
		2L	3L	4L	1H	2H		
2WD	٢٠	٤٣١,١٠	٥٨٤,٨٠	٦١٩,٠٢	٧١٠.٩٠	٧٣٧.٢٠	٦١٦,٦٠	٧٧٥,٢٠
	٢٥	٨٦١,٠٠	٩٠٥.٢٠	٩٦٢.٦٢	٩٧٠,٨٠	٩٦٩,٨٠	٩٣٣.٩٢	
4WD	٢٠	٥٦٧,١٠	٨١٦,١٠	٨٢٦,٦٤	٨٩٧,٦٠	٩٠٤,١٠	٨٠٢,٣٠	٨٢٣,٦٩
	٢٥	٥٥٠,١٠	٧٩٩,٠٠	٩١٧,٧٢	٩٤٦,٧٠	١٠١١.٩٠	٨٤٥,٠٨	
المعدل		٦٠٢,٣٢	٧٧٦,٢٧	٨٣١,٥٠	٨٨١,٥	٩٠٥.٨٠		
L.S.D 0.05	نظام الدفع: ٢٥,٧٧ عمق الحراثة: ١٩,٥٣ السرعة: ٣٣,٥١ التداخل: ٦٢.٥٠							

استهلاك الوقود لتر / ساعة :

من الجدول (٣) يتبين ان نظام الـدفع 2WD ســجل اقــل معــدل لاستهلاك الوقود بلغ ١٢,٣٠٠ لتر/ساعة في حــين ســجل نظــام الــدفع الرباعي 4WD اعلى استهلاك للوقود وكان ١٤,٦٠٠ لتر/ ساعة وبنسبة زيادة ١٨,٧٠٪ والسبب يعود الى ان تشغيل نظام الــدفع الربــاعي فــي الجرار سوف يزيد من الحمل الواقع على محرك الجرار وبالتالي سيحتاج الى وقود اكثر. ومن الجدول ايضا نجد ان زيادة عمق الحراثة ادى الــى زيادة في استهلاك الوقود اذ سجل عمق الحراثة ٢٠سم اقل قيمة بلغت

جدول (٣) تاثير نظام الدفع للجرار وعمق الحراثة والسرعة العملية وتداخلاتها في استهلاك الوقود لتر/ساعة

نظام الدفع	عمق الحراثة سم	السرعة العملية					المعدل	
		2L	3L	4L	1H	2H		
2WD	٢٠	٧,٦١٢	٩,٣٥٣	١٢,٦٣٣	١٣,٨٣٧	١٤,٥٦٣	١١,٦٠٠	١٢,٣٠٠
	٢٥	٩,٣٣٣	١٠,٨٧٣	١٣,٨٢٠	١٤,٩٥٧	١٥,٨٢٠	١٣,٠٠٠	
4WD	٢٠	٩,٠٥٠	١١,٣٩٣	١٣,٨٤٠	١٤,٤٣٣	١٦,٠٥٠	١٢,٩٥٠	١٤,٦٠٠
	٢٥	١٣,٦٣٧	١٥,٢٥٠	١٦,٤٥٠	١٧,٤٠٣	١٨,٢٢٣	١٦,٢٠٠	
المعدل		٩,٩٠٠	١١,٠٠٠	١٤,٢٠٠	١٥,٢٠٠	١٦,١٥٠		
L.S.D 0.05	نظام الدفع: ٠,٣١٩٩ عمق الحراثة: ٠,١٠٧٣ السرعة: ٠,١٧٤٥ التداخل: ٠,٣٥٧٦							

١٢,٢٧٥ لتر/ ساعة في حين سجل عمق الحراثة ٢٥سم اعلى قيمة وكانت ١٤,٦٠ اي بنسبة زيادة تصل الى ١٩٪ والسبب في ذلك يعود الى ان زيادة عمق الحراثة يعني زيادة في مقطع الحرث ، الذي يعني زيادة في حجم التربة المثارة وهذه الزيادة تسبب زيادة في قوة مقاومة السحب مما يتطلب زيادة في القدرة المصروفة من الساحبة للتغلب على هذه المقاومة ، ويلاحظ ايضا ان زيادة السرعة ادت الى زيادة متواترة في استهلاك الوقود وبنسب الزيادة التالية ١١، ٢٩، ٦ و ٧٪ على التوالي ، وقد تفوق التداخل الثلاثي بين نظام الدفع 2WD والعمق ٢٠سم والسرعة 2L في تحقيق اقل استهلاك للوقود وكان ٧,٦١٢ لتر/ساعة في حين حقق التداخل بين نظام الدفع 4WD والعمق ٢٥سم والسرعة 2H اعلى استهلاك للوقود وكان ١٨,٢٢٣ لتر/ساعة.

الانتاجية العملية دونم/ساعة :

من الجدول(٤) يظهر ان نظام الدفع الرباعي 4WD حقق اعلى انتاجية عملية للحراثة بلغت ١,٥٠ دونم/ساعة وان نظام الدفع الثنائي 2WD سجل اقل انتاجية عملية بلغت ١,٣٨ دونم/ساعة اي بنسبة زيادة ٨,٧٪ والسبب يعود الى ان نظام الدفع الرباعي حسن اداء الجرار من خلال تقليل الانزلاق الحاصل في اثناء عمليات الحراثة وبالتالي أدّى الى زيادة المساحة المحروثة خلال وحدة الزمن.

جدول (٤) تاثير نظام الدفع للجرار وعمق الحراثة والسرعة العملية وتداخلاتها في الانتاجية العملية دونم/ساعة

نظام الدفع	عمق الحراثة سم	السرعة العملية					المعدل	
		2L	3L	4L	1H	2H		
2WD	٢٠	٠,٨٦	١,٤٦	١,٧٩	٢,٠٨	١,٨٧	١,٦١	١,٣٨
	٢٥	٠,٧٢	١,٣٢	١,٣٣	١,٤	١,٠٠	١,١٥	
4WD	٢٠	١,٠٠	١,٥٥	١,٨٢	٢,٣	١,٨	١,٧٠	١,٥٠
	٢٥	٠,٩٢	١,٢٩	١,٥٦	١,٤٨	١,٠٠	١,٢٥	
المعدل		٠,٨٧	١,٤٠	١,٦٢	١,٨١	١,٤٢		
L.S.D 0.05	نظام الدفع: ٠.٠٣٤١٥ عمق الحراثة: ٠,٠٠٥٢٤ السرعة: ٠,٠٠٥٧٠٨ التداخل:٠,١٠٣٢٩							

نجد ايضا انه عند العمق ٢٠سم تحققت اعلى انتاجية عملية لتصل الى ١,٦٥ دونم/ساعة في حين انخفضت الانتاجية العملية الى ١,٢٠ دونم/ساعة عند العمق ٢٥سم وبنسبة انخفاض بلغت ٢٧,٣٠٪ والسبب في ذلك يعود الى ان زيادة عمق الحراثة يؤدي الى زيادة مقطع التربة المراد حراثتها وهذا يؤدي الى زيادة مقاومة السحب للمحراث فتقل سرعة الجرار وبالتالي تقل المساحة المحروثة خلال وحدة الزمن. ومن الجدول ايضا نلاحظ زيادة الانتاجية العملية معنويا بزيادة السرعة العملية بالتتابع من 2L ، 3L ، 4L و 1H اذ زادت الانتاجية العملية بنسب زيادة ٦٠ ، ١٦ و ١٢٪ والسبب يعود الى ان زيادة السرعة ادت الى تقليل الزمن اللازم لانجاز عملية الحراثة وهذا يؤدي الى رفع الانتاجية خلال الزمن المحدد في حين انخفضت الانتاجية العملية عند السرعة 2H بنسبة

انخفاض بلغت ٢١٪ والسبب في ذلك يعود الى زيادة معــدلات الانــزلاق التي تسبب خفض السرعة العملية وزيادة الوقت اللازم لعمليات الحراثــة فتقل الانتاجية العملية. وقد تفوّق التداخل الثلاثي بين نظام الــدفع 4WD والعمق ٢٠سم والسرعة 1H في الحصول على اعلى انتاجية عملية وكانت ٢,٣ دونم/ساعة في حين سجل التداخل بين كل من نظــام الــدفع 2WD والعمق ٢٥سم والسرعة 2L اقل انتاجية عملية بلغت ٠,٧٢ دونم / ساعة.

نستنتج مما سبق أنه :

ادى استخدام نظام الدفع الرباعي 4WD الى تقليل النــسبة المئويــة للانزلاق بنسبة ٣١٪ و زيادة مقاومة قوة السحب بنسبة ٦,٢٥٪ وحصلت زيادة في استهلاك الوقود بنسبة ١٨,٧٠٪ وزيادة في الانتاجيــة العمليــة بنسبة ٨,٧٪.

ادت زيادة عمق الحراثة من ٢٠ الى ٢٥سم الى زيــادة فــي النــسبة المئوية للانزلاق بنسبة ٨٨٪ وزيادة في مقاومــة قــوة الــسحب بنــسبة ٢٥,٤٠٪ كما زاد استهلاك الوقود بنسبة ١٩٪ وانخفاض فــي الانتاجيــة العملية بنسبة ٢٧,٣٠٪.

ويُلاحَظ ان زيادة السرعة العملية ادت الــى زيــادة فــي النــسبة المئويــة للانــزلاق بنــسب زيــادة ١٢,٢٩، ١٦,٢٠، ٣ و ٢٠٪ وزادت أيضا مقاومة السحب بنسبة ٢٩، ٧، ٦ و ٣٪ كما زاد اســتهلاك الوقــود بنسبة ١١، ٢٩ ، ٦ و ٧٪ واخيرا زادت الانتاجية العملية بنسبة ٦٠، ١٦، ١٢٪. لذا نوصي باعتماد نظام الدفع الرباعي 4WD عند الحراثــة مــع العمق ٢٥سم ولجميع السرع عدا السرعة 2H واعتماد نظام الدفع الثنائي 2WD مع العمق ٢٠سم مع جميع السرع باستثناء السرعة 2H ونوصــي باجراء دراسة مكملة لهذا البحث عن الفرق في الجدوى الاقتصادية بــين نظامي الدفع .

المصـــادر

١. جبر ، حسين عباس (٢٠٠٩) . دراسة تاثير رطوبة التربة وعمق الحراثة والتداخل بينهما في مقاومة قوة السحب واجمالي التكاليف الاقتصادية للوحدة المكنية. مجلة التقني. المجلد ٢٣. العدد ٢: ٨١-٩١.

٢. الحديثي ، صبا عبد العزيز حميد (٢٠٠٦). تأثير ضغط انتفاخ الاطارات القائدة ونوع المحراث وسرعة الساحبة في بعض المؤشرات الفنية وبعض صفات التربة الفيزيائية . رسالة ماجستير . قسم المكننة الزراعية . كلية الزراعة . جامعة بغداد .

٣. زوزان ، يوخنا لازار (١٩٩١). دراسة تاثير السرعة العملية وقوة السحب على اداء الساحبات. رسالة ماجستير. قسم المكننة الزراعية. كلية الزراعة . جامعة بغداد .

٤. الساهوكي ، مدحت وكريمة محمد وهيب (١٩٩٠). تطبيقات في تصميم وتحليل التجارب. جمهورية العراق . وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . جامعة بغداد .

٥. العاني ، رفعت نامق عبد الفتاح (١٩٩٥). دراسة تاثير السرع العملية العالية واعماق مختلفة للحراثة على بعض مؤشرات الاستغلالية للمحراث المطرحي القلاب مع الجرار عنتر ٧١ في منطقة ابي غريب. مجلة العلوم الزراعية العراقية. المجلد ٢٦ العدد ٢: ٢٥٦-٢٦٢.

٦. العاني ، عبد الله نجم ، فراس سالم وعبد الستار علي جاسم (٢٠٠٦). تاثير رطوبة التربة وعمق الحراثة في تربة مزيجية طينية غرينية في اداء الجرار المسرف DT-75 مع المحراث المطرحي الرباعي القلاب. مجلة العلوم الزراعية العراقية. المجلد ٣٧ العدد ١: ٤٣-٤٨.

٧. العبدلي ، عمر عنة عبدالله (٢٠٠٠). اداء الجرار ماسي فيركسن MF4260 مع المحراث المطرحي الرباعي القلاب ١٣٤ وتاثير

تداخلهما في بعض الصفات الفيزيائية للتربة.رسالة ماجستير.قسم المكننة الزراعية. كلية الزراعة. جامعة بغداد .

٨. مبارك ، علي محمد ، عبد الرزاق عبد اللطيف جاسم و حسين عباس جبر (٢٠٠٦). تاثير بعض انواع المحاريث في الانتاجية العملية والتكاليف الاقتصادية للوحدة الميكنية.المجلة المصرية للهندسة الزراعية. المجلد ٢٥ العدد ٢: ١٦٥-١٩٤.

9. Al-Suhaibani, S.A. and A.A Al-Janobi. (1997). Draught requirements of tillage implement operation on sandy loam soil. J. of Agric. Eng. Res. (66): 177-182.

10. Bukhari, S. (1990). Effect of different speed on the performance of mold board plow. Agri. Mech in Asia, Africa and latin America. 21(1): 21-24.

11. Forristal, P.D. (1999). Machinery cost on tillage farms and the development of decision support system for machinery investment use on farms crops research. Centre Duk Park Carlow. Dublin.

12. Macmillan, R.H. (2002). The mechanics of tractor- implement performance. University of Melbourne.

13. Steve, W. Mugucia; Ryo Torisu and Junichi Takeda. (1987). The tractive performance of a front wheel assist tractor on an asphalt surface. J. Fac. Agr. Iwate Uni. (18): 361-370.